يـــوم التأسيس

Saudi Founding Day

١١٣٩هـ / 1727م

1727

1727

بتاريخنا وثراء ثقافتنا

نحتـفل بمرور ثـلاثة قـــرون
على تأســـــيس وطـــــننا

أئمة وملوك الدولة السعودية

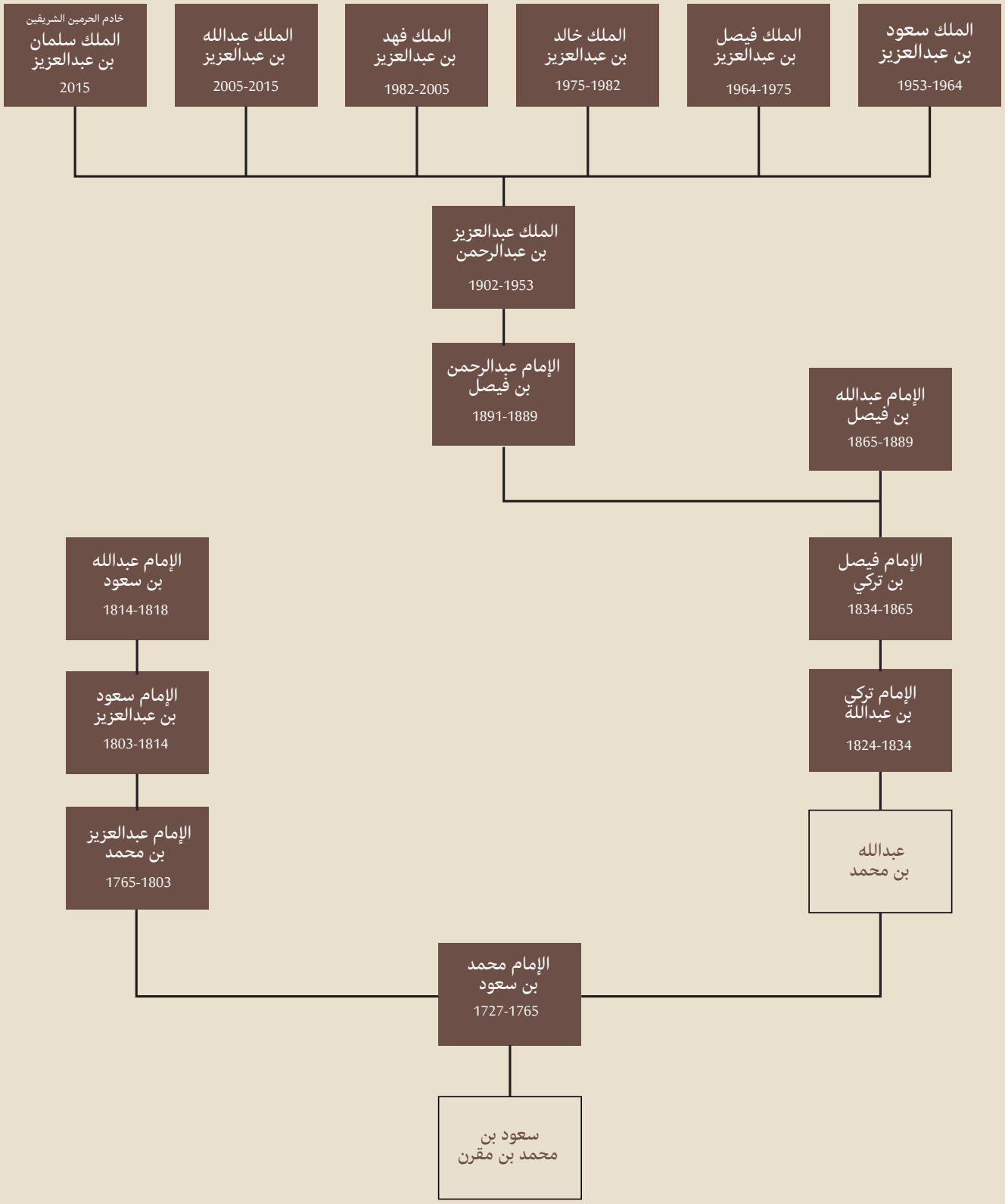

∴ الدولة السعودية الأولى 1233-1139هـ | 1818-1727م

∴ الدولة السعودية الثانية 1309-1240هـ | 1891-1824م

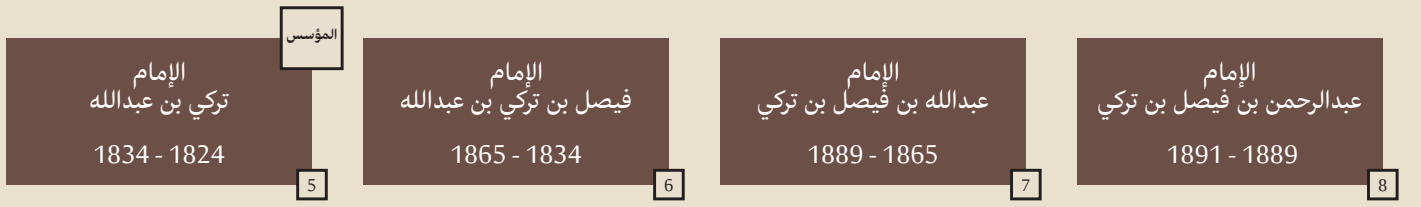

∴ الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية) | 1319هـ- 1902-م حتى الآن

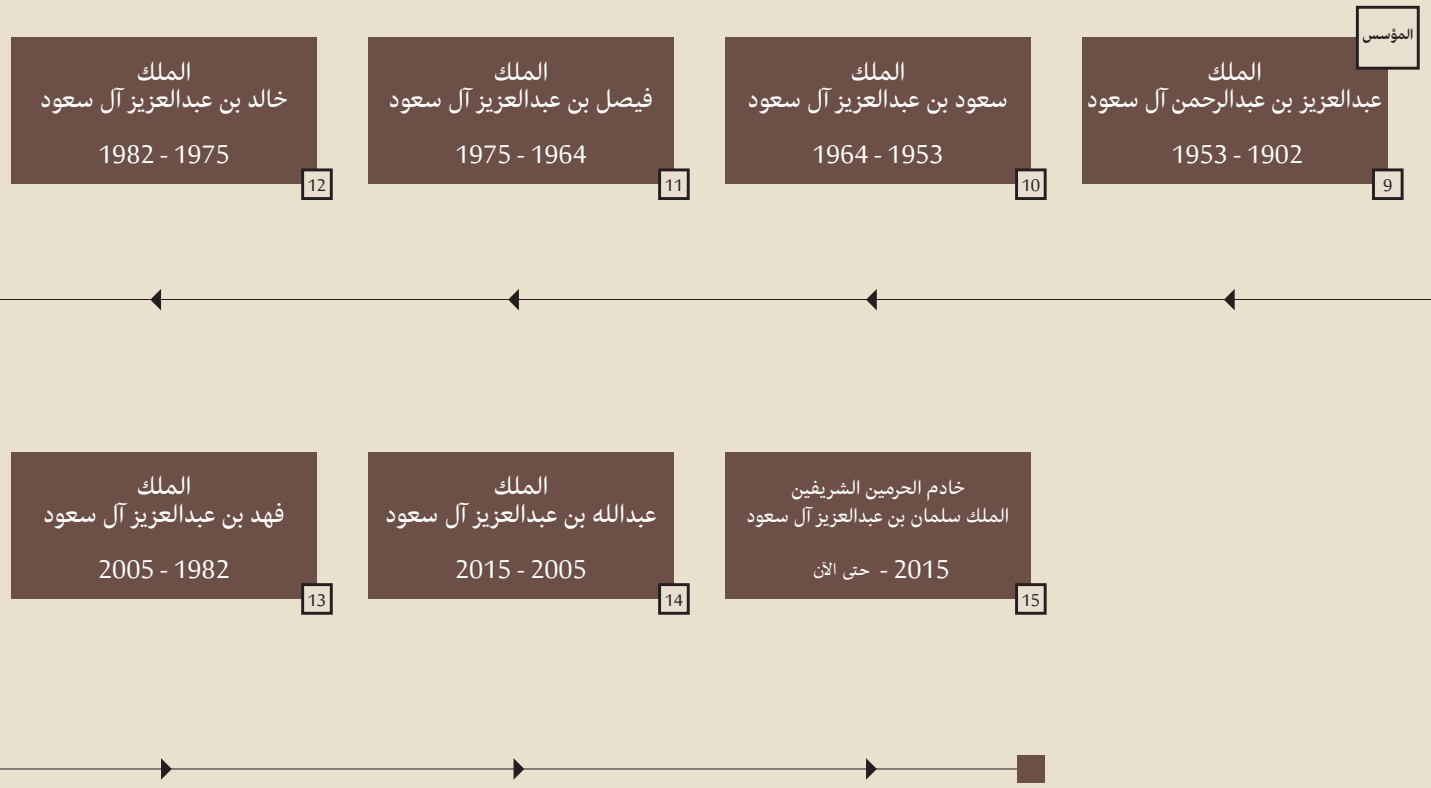

شعار يوم التأسيس

العلم السعودي، والنخلة، والصقر، والخيل السعودية، والسوق
خمسة عناصر تعكس تناغماً تراثياً حياً، وأنماطاً مستمرة

العلم السعودي

العلـم مصـدر اعتـزاز وفخـر لأبنـاء الوطـن، إذ إنـه يُعبـر عـن ثقافـة وحضـارة وتاريـخ الأوطـان، وعـن القيـم والمبـادئ التـي تأسسـت عليهـا الـدول ومـا تـزال متمسـكة بهـا، ولذلـك كانـت الأعلام تُرفـع فـي المعـارك لرفـع روح الوطنيـة والانتمـاء للمحاربيـن، وللعلـم مسـميات عديـدة، منهـا: الرايـة، اللـواء، البيـرق. وكلهـا تُطلـق علـى قطعـة القمـاش الملونـة والممتـدة علـى قائـم، وتلـك القطعـة تمثـل كيـان وسـيادة دولـة قائمـة، وعـادةً مـا يرفـع العلـم علـى الـدور الحكوميـة وفـي الأعيـاد والمناسـبات الوطنيـة.

النخلة

النخلـة رايـة المنـاخ وثـروة الإنسـان وهـي البريـق الـذي يتغنـى بـه العربـي بشـكل عـام والسـعودي بشـكل خـاص، ففـي الدولـة السـعودية الأولـى تصطـف النخيـل الباسـقة علـى أراضيهـا كعلامـة بـارزة علـى ثـروة هـذا البلـد مـن التمـور العريقـة، حتـى أصبـح النخـل فـي السـعودية مجـالاً خصبـاً ليتغنـى بـه الشـعراء، وتعتبـر النخيـل جـزءاً متـأصلاً مـن هويـة الدولـة السـعودية وثقافتهـا وتراثهـا، وهـي أحـد أهـم المـوارد الرئيسـة للمملكـة العربيـة السـعودية.

الصقر

الصقـر هـو أهـم الطيـور المسـتخدمة فـي الصيـد؛ وهـو مـن الطيـور الجارحـة، ويسـتعمله السـعوديون فـي الدولـة السـعودية الأولـى، وتحديـداً فـي المنطقـة الوسـطى للصيـد، ولـه أسـماء عديـدة، منهـا: (الحـر، والأجـدل، والهيثـم)، وقـد كان أفضـل أنـواع الصقـور التـي كانـت لهـا شـهرة كبيـرة (الحـر، الشـاهين، والوكـري) وللصقـر أنـواع مختلفـة منهـا: "الكرنـج البؤبـؤ"، ويفضـل الصقـر ذو اللـون الأحمـر، وعـادة عنـد الصيـد يوضـع علـى وجهـه برقـع حتـى لا ينطلـق علـى الطريـدة فـي وقـت غيـر مناسـب.

الخيل السعودية

للخيـل السـعودية علاقـة ذات جـذور عميقـة منـذ القـدم فـي أراضـي الدولـة السـعودية؛ حيـث كانـت المهـد الأول لـه، فقـد أثبتـت الاكتشـافات الأثريـة الحديثـة بالمملكـة العربيـة السـعودية اسـتئناس الخيـل علـى أرضهـا، ويعـود ذلـك إلـى 9 آلاف عـام مضـت مـن تاريـخ البشـرية، وارتبطـت الخيـل السـعودية بالإنسـان السـعودي، إذ يعـد ركـوب الخيـل مـن الأساسـيات فـي الحيـاة، ولا يتخـذ للركـوب إلا الخيـل النجـاب، ومـن شـدة العلاقـة بيـن الإنسـان وخيلـه، أنـه كان يخدمهـا بنفسـه فلا يـوكل خدمتهـا إلـى أحـد آخـر.

السوق

يعـد السـوق مـورداً أساسـياً لا غنـى عنـه فـي كل المجتمعـات البشـرية، فهـو يعتبـر مـن مؤشـرات الرقـي والتطويـر لتلـك المجتمعـات، وفـي السـوق تنتشـر الدكاكيـن والموائـد المرصوفـة علـى الأرض لتعـرض بوسـاطتها البضائـع المختلفـة سـواءً كانـت محليـة الصنـع أم مسـتوردة، ومـا تـزال مثـل هـذه الأسـواق تُقـام إلـى وقتنـا الحاضـر فـي بعـض القـرى والأريـاف، ومنهـا مـا ينعقـد كل أسـبوع مثـل أن يُقال سـوق السـبت، ومنهـا مـا لا ينعقـد إلا مـرةً واحـدة فـي الشـهر فـي منتصفـه أو آخـره، ومنهـا مـا يعقـد فـي السـنة مـرة كأن يكـون فـي موسـم الصيـف، أو مـرة كل بضـعِ سـنين.

المحتويات

لمحات تاريخية 14

تاريخنا عبر العصـور 16

الأرض 19

التاريخ 48

المجتمع 83

القيم 98

الثقافة 119

لمحات تاريخية

يوم التأسيس

مناسبة وطنية للاعتزاز بالجذور الراسخة للدولة السعودية.
واستذكار تأسيسها على يد الإمام محمد بن سعود منذ أكثر من ثلاثة قرون،
وما حققته من الوحدة، والأمن، والاستقرار، والبناء، والتنمية.

22 فبراير

بدأ تأسيس الدولة السعودية الأولى بتولي الإمام محمد بن سعود الحكم في الدرعية منذ النصف الثاني من عام 1139هـ الموافق (22/ 2 / 1727م).

تاريخ الدولة السعودية

الدولة السعودية الأولى

1139هـ | 1727م

1233هـ | 1818م

الدولة السعودية الثانية

1240هـ | 1824م

1309هـ | 1891م

الدولة السعودية الثالثة
المملكة العربية السعودية

1319هـ | 1902م

تاريخنا عبر العصور

715 قبل الميلاد - 1233 (1818م)

715 ق.م	بداية استقرار قبيلتي طسم وجديس؛ أحد قبائل العرب البائدة في اليمامة، تحديداً بين وادي الوتر والعرض (البطحاء ووادي حنيفة).
2 ق.م – 1م	اليمامة ممر للطرق التجارية التي تعبر شبه الجزيرة العربية، (طريق البخور).
ق 4م	تأسست حجر مع قدوم بني حنيفة من عالية نجد وأطراف غرب الجزيرة العربية إلى حجر اليمامة، واستقرارهم فيها برئاسة عبيد بن ثعلبة.
ق 4م	حَجْر قاعدة اليمامة.
430م	ازدهر سوق حَجْر اليمامة، واستمرت شهرته حتى نهاية العصر الأموي، وهو سوق موسمي يعقد من 10 محرم إلى نهاية الشهر. يقع الآن في وسط الرياض تحديداً (موقع سوق المقيبرة).
1هـ/622م	كانت زعامة اليمامة في صدر الإسلام لثمامة بن أثال.
6هـ/627م	قدوم ثمامة بن أثال إلى رسول الله ﷺ وإسلامه، ثم فَرضَت حجر اليمامة الحصار على قريش فقُطع التموين الغذائي عنها، ومُنعت القوافل التجارية التي تحمل الحبوب والتمور، نصرة للرسول ﷺ وللمسلمين.
10هـ/631م	قدوم مجاعة بن مرارة، ومسيلمة بن حبيب الحنفي إلى رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، فأحسن وفادتهما وأكرمهما فأسلما. وبعد رجوع مسيلمة لليمامة ارتد عن الإسلام وادعى النبوة وكتب كتاباً بعثه إلى رسول الله.
11هـ/632م	معركة عقرباء بقيادة خالد بن الوليد، ومن انضم إلى جيش المسلمين من بني حنيفة بقيادة ثمامة بن أثال.
12هـ/633م	أصبحت اليمامة ولاية في عهد أبو بكر الصديق ﷺ وولي عليها سمرة بن عمرو العنبري من تميم.
165هـ/782م	وجدت في اليمامة دار لضرب المسكوكات، تحديداً في العاصمة حجر.
235هـ/ 867م	قدوم محمد الأخيضر من غرب الجزيرة العربية إلى اليمامة، وأسس الإمارة الأخيضرية متخذاً من الخضرمة قاعدة لحكمه الذي استمر لمدة مائتي سنة.
ق4هـ/ 10م	كان يطلق على موقع الدرعية قديماً اسمي (الضيَق) و(غبراء) ثم عرفت فيما بعد تعرف بالعودة، وتُركت الأسماء القديمة.
ق5-4هـ	ضعفت قوة الإمارة الأخيضرية مع ظهور القرامطة في المنطقة بمنتصف القرن الرابع الهجري.
486هـ/ 1093م	هجرة بعض عشائر بني حنيفة ومضر إلى العلاقي، وبعضهم إلى قران وإلى مناطق أخرى، ولكن مع هذه الهجرات بقيت النسبة الكبرى للمنتمين لبني حنيفة ولقبائل وائل بن بكر في اليمامة.
732هـ/ 1323م	زار الرحالة ابن بطوطة اليمامة، وقال عنها: (ثم سافرنا منها إلى مدينة اليَمَامَة وتسمى حَجْراً، مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حَنِيفَة، وهي بلدهم قديماً وأميرهم طفيل بن غانم).
850هـ/ 1446م	انتقال الأمير مانع بن ربيعة المريدي جدّ الأسرة المالكة من الدرعية الأولى شرق الجزيرة العربية إلى وادي حنيفة لتأسيس الدرعية الثانية، يعد هذا التاريخ أقدم إشارة تاريخية لغصيبة التي تكونت منها الدرعية لاحقاً. ذكر الفاخري (1277هـ): "وفيها قدم مانع بن ربيعة المريدي على ابن درع صاحب حَجْر والجِزعَة من بلده القديمة وهي الدرعية التي عند القطيف، وهو من قبيلته، فأعطاه ابن درع المليبيد وغصيبة فعمر ذلك المكان هو وذريته من بعده، واتسعت العمارة فيها والغرس في نواحيها".

981هـ/ 1573م	أثبتت إحدى الوثائق قوة إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي. حاكم الدرعية آنذاك وأعماله الكبيرة لحماية قوافل الحج في أواخر القرن العاشر الهجري.
1039هـ/ 1626م	ذكر ابن بشر أن ربيعة وأخوه مقرن ابنا مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي حجا عام 1039هـ.
1084هـ/ 1672م	بداية حكم الأمير محمد بن مقرن للدرعية.
1106هـ/ 1695م	وفاة الأمير محمد بن مقرن. - الذي وصفه المؤرخ أحمد بن منقور(ت1125هـ) بأنه "شيخ غصيبة"، كما وصفه الفاخري (ت1277هـ): "راعي الدرعية".
1132هـ/ 1720م	تولي الأمير سعود بن محمد بن مقرن حكم الدرعية.
1137هـ/ 1725م	وفاة الأمير سعود بن محمد بن مقرن حاكم الدرعية.
1139هـ/ 1727م	**تأسيس الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن للدولة السعودية الأولى وعاصمتها الدرعية، واستمر حكمه 40 عاماً.**
1172هـ/ 1759م	أمر الإمام محمد بن سعود ببناء سور يحيط بالدرعية، أشرف على بنائه ولي عهده الأمير (الإمام لاحقاً) عبد العزيز بن سعود، يبلغ طول السور نحو 12,800 كم، بمساحة إجمالية بلغت أربعة كم^2.
1179هـ/ 1765م	وفاة الإمام محمد بن سعود و تولي الإمام عبد العزيز بن محمد حكم الدولة السعودية الأولى.
1180هـ/ 1766م	إنشاء حي الطريف، وقصر سلوى مقراً للحكم، وبناء جامع الطريف.
1218هـ/ 1803م	وفاة الإمام عبدالعزيز وتولي الإمام سعود حكم الدولة السعودية الأولى.
1220هـ/ 1805م	ضم مكة المكرمة إلى الدولة السعودية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز.
1221هـ/ 1806م	المدينة المنورة تصبح ضمن أجزاء الدولة السعودية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز.
1226هـ/ 1812م	انتصار القوات السعودية في معركة وادي الصفراء بقيادة الأمير عبدالله بن سعود - الإمام لاحقاً - ضد القوات العثمانية المعتدية.
1229هـ/ 1814م	وفاة الإمام سعود بن عبد العزيز، تولي الإمام عبد الله بن سعود حكم الدولة السعودية الأولى.
1233هـ/ 1818م	حصار الدرعية، ونهاية الدولة السعودية الأولى.

الأرض

جيولوجية الجزيرة العربية:

تتكون شبه الجزيرة العربية من صفيحة قشرية عظيمة تتكون من صخور رسوبية قديمة وصخور بركانية، وقد تحولت هذه الصخور بسبب الحركات التكتونية التي تعرضت لها الصفيحة، إضافة إلى اندساسات ضخمة من الصخور الجوفية. وكانت تتصل بإفريقيا كجزء من الدرع النوبي – الإفريقي في زمن ما قبل الكمبرى. وقد تمكنت قوى التحات من تسوية سطح الدرع العربي وتحويله إلى ما يشبه السهل في أواخر زمن ما قبل الكمبري. وفي بداية العصر الكمبري تكّون بحر تيثيس، وهو حوض رسوبي كان يغطي مساحات واسعة، ويمتد من تركيا إلى جنوب غرب إيران ماراً بشمال العراق. وقد تراكمت آلاف الأمتار من الرواسب القارية والبحرية في هذا البحر خلال أزمنة الباليوزي (حقب الحياة القديمة) والميسوزوي (حقب الحياة المتوسطة) وأوائل العصر الكينوزوي (حقب الحياة الحديثة)، ومسببة انخفاضاً بطيئاً في قاع ذلك البحر، كما نشأت البحار فوق القارية بين بحر تيثيس وشبه الجزيرة العربية، وامتدت تلك البحار فوق الأجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية مكونةً طبقات مسطحة ومستوية مترسبة، واستقرت بالداخل ترسبات من أصل قاري، وكان خط الساحل يرتفع وينخفض بين فترة وأخرى، واستجابة لحركات رأسية طفيفة تحت الترسبات أحدثت عدم توافق طبقي.

وفي أواخر العصر الكريتاسي الذي يعد ثالث وآخر أدوار حقب الحياة الوسطى، التوت الطبقات الرسوبية البحرية ذات السمك الكبير في قاع تيثيس في شكل ثنيات عظيمة نتيجة لحركات نشوء الجبال التي بدأت في تقليص بحر تيثيس، وقد نشأت العديد من الجبال خلال هذه المرحلة من مراحل التكوين. ومالت شبه الجزيرة العربية نتيجة لهذه الحركات التكتونية. وأثناء هذه الحركات التكتونية انفصلت شبه الجزيرة العربية عن الدرع الإفريقي مكونة البحر الأحمر خلال منتصف الزمن الثالث، كما مالت الطبقات الرسوبية في شبه الجزيرة العربية إلى الشرق والشمال الشرقي، وظهرت فيها التحدبات، نتيجة لتلك الحركات. وبدأت الصفيحة العربية بعد ذلك في التحرك البطيء تجاه الشمال الشرقي مزاحمة طرف الصفيحة الآسيوية، ورافق هذا الانفصال نشاطات بركانية على طول الطرف الغربي لشبه الجزيرة نتج عنها تدفق اللابة (الحِمَم) التي تسمى آثارها حرّات.

وبهذا التكوين الأساسي تقسمت الجزيرة العربية إلى وحدتين جيولوجيتين كبيرتين؛ الأولى عبارة عن كتلة متبلورة قديمة تسمى الدرع العربي (Arabian Shield)، والثانية عبارة عن طبقات رسوبية تسمى والرف العربي (Arabian Shelf).

شبـــه الجـــزيـــرة العـــربيـــة
الخليج العربي
البحـــر الأحمـــر
بحـــر العـــرب

الخريطة الجيولوجية لحوض وادي حنيفة

N

المركز السعودي لنظم المعلومات الجغرافية التاريخية
Saudi Center For Historic Geographical Information
SAUDI-HGIS

Qes	رمال ريحية	Kbu	تكوين البويب	Jh	تكوين حنيفة
Qu,Qg	الطمي والحصاة	Ky	تكوين اليمامة	Jtm	تكوين الحجر الجيري
Qg	جرول (حصى)	Ks	تكوين السلي	Jd	تكوين ضرما
Tcg	تكوين الخرج	Kw	تكوين الوسيع	Jm	تكوين مرات
Tu	تكوين أم رضمة	Ja	تكوين العرب	Jtkm	تكوين المنجور
Ka	تكوين العرمة	Ji	تكوين الجبيلة	Trj	تكوين الجله
Kb	تكوين البياض	Jh	تكوين حنيفة	Pk	تكوين خف

جيولوجية وادي حنيفة:

أثرت أحداث التاريخ الجيولوجي الحافل الطويل في جيومورفولوجية حوض وادي حنيفة، وأعطته الصورة النهائية، وساعدت في ذلك عمليات التجوية والتعرية ولا سيما خلال العصور المطيرة في الزمن الرابع، حيث استطاعت المجاري المائية في تلك الفترة إيجاد بعض الظاهرات الجيومورفولوجية التي تشابه الظاهرة الموجودة في أودية الأنهار الدائمة كحفر مجارٍ عميقة متعرجة، وبناء المصاطب وشبكة الروافد الكبيرة والصغيرة. ويشكل التاريخ الجيولوجي لحوض وادي حنيفة جزءاً من التاريخ الجيولوجي لشبه الجزيرة العربية التي تعرضت كغيرها من بقية مناطق الكرة الأرضية إلى التغيرات الجيولوجية على مدى التاريخ.

كثيراً ما طغت مياه بحر تيثس في فترات متعاقبة ومتباعدة خلال الزمن الأول والثاني وغمرت مياه اليابس، ثم انحسرت مخلفة في كل مرة إرسابات ما زالت رغم مرور ملايين السنين تغطي أجزاء كبيرة من إقليم نجد، وتشهد بذلك الأحداث الجيولوجية وتؤكدها. وارتفع اليابس خلال الزمن الرابع في بعض أجزاء شبه الجزيرة العربية، ومنها منطقة نجد، وانحسر عنها البحر تماماً. وفي عصر البلايستوسين تعرضت بعض أجزاء شبه الجزيرة العربية لأمطار غزيرة، شقت كثيراً من مجاري الأودية الجافة حالياً، والتي ما يزال بعضها يسيل بمياه الأمطار عند سقوطها. وقد أثرت كل هذه التغيرات المتتالية بدورها في جيولوجية وادي حنيفة.

ومما لا شك فيه أن التغيرات المناخية والجيومورفولوجية العامة في المنطقة وما حولها، إلى جانب احتمال تذبذب مستوى الماء الجوفي الذي يربط مصدره بمناطق بعيدة، لابد أنها أثّرت في التطور الجيومورفولوجي. وهناك سمة مهمة وهي أن خطوط السواحل القديمة قد تعرضت لتعاقب حركات الرفع والخفض التي أثرت في وادي حنيفة. وبعد العصر الكريتاسي تعرض وادي حنيفة لعمليات التعرية خلال الزمن الثلاثي في عصري المايوسين والبلايوسين. واشتدت عملية الحفر والتعميق لمجاري الأودية في بداية البلايستوسين الذي يتميز بتذبذباته المناخية، وفي أثناء تلك الفترة الزمنية الجيولوجية الطويلة منذ أواخر الكريتاسي حتى الوقت الحاضر تشكلت خطوط السواحل القديمة ورسبت في مواضع، منها أنواع مختلفة من الرواسب السطحية على صخور المنطقة.

التكوينات الصخرية:

تنكشف الصخور الرسوبية في الرف العربي في وسط شبه الجزيرة العربية في حزام مقوس كبير على امتداد الحافة الشرقية للدرع العربي مكونة حافات متماثلة في اتجاه الميل تواجه الغرب. وترجع نشأة ظاهرة الحافات في النطاق الأوسط من المملكة العربية السعودية إلى وجود تتابع من طبقات صخرية رسوبية متفاوتة في مدى مقاومتها لعمليات التعرية المائية. وتتكون صخور وادي حنيفة من صخور رسوبية يتراوح عمرها بين الجوراسي الأعلى وبداية الكريتاسي الأسفل، بالإضافة إلى مكشف يرجع إلى فترة المايوسين/ البلايوسين. وكثيراً ما تختفي تلك الصخور تحت غطاء من المفتتات والرواسب السطحية مختلفة النوع والنشأة.

وفيما يلي وصف للتكوينات الجيولوجية بمنطقة حوض وادي حنيفة:

- تكوين طويق:

ينسب تكوين طويق إلى جبال طويق، ويعد هذا التكوين من أبرز المعالم الطبوغرافية في وسط شبه الجزيرة العربية. ويمتد هذا التكوين في القسم الغربي من وادي حنيفة، ويغطي مكشفه مساحة قدرها 963 كم مربع، ويسهم بنسبة 22% من مساحتها. ويمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. وتقطع مجموعة انكسارات وادي الأوسط استمرار اتصال تكوين طويق فيبدو على شكل كتلة منفصلة. ويتكون من حجر جيري Limestone متماسك أبيض اللون وبلون القشدة، وتتألف منه بعض الجروف الكبرى من جبال طويق، وتتألف الطبقات القاعدية من المارل، وفي بعض الأماكن توجد طبقات رقيقة من الكالكارينايت Calcarenite. ويعلو السطح العلوي طبقات ترجع إلى تكوين حنيفة الأحدث عمراً، أما السطح السفلي لهذا التكوين فيقع على طبقة تعود إلى تكوين ضرما الأقدم عمراً ويتسم الحد الغربي للمنكشف بحافة كويستا ذات جرف شديد الانحدار تظهر نحو 100م أو أكثر من طبقة تكوين جبال طويق ذي الحجر الجيري المقاوم للتعرية ما أسهم في بروز الحافة ومحافظتها على شكلها، وتعود صخور هذا التكوين إلى العصر الجوراسي الأعلى ويصل سمكها إلى 215م.

- تكوين ضرما:

تعرض وادي حنيفة خلال التاريخ الجيولوجي إلى العديد من التغيرات الطبيعية والمناخية أثرت على نحو مباشر أو غير مباشر على أنواع الصخور والرواسب الموجودة، وكذلك على الحياة الحيوانية والنباتية التي سادت خلال نهاية الزمن الثاني وبداية الزمن الثالث في المنطقة. فالصخور التي وجدت جميعها من النوع الرسوبي الذي تكون خلال العصر الجوراسي الأوسط والأعلى، والكريتاسي الأسفل (الزمن الثاني)، وفي عصر المايوسين والبلايوسين (الزمن الثالث). وتكوين ضرما هو أقدم التكوينات في المنطقة، كما يحتوي على حفريات من الرخويات والأصداف، ويحتوي على بقايا عضوية نباتية وحيوانية.

- تكوين حنيفة:

ينسب تكوين حنيفة لوادي حنيفة، ويتكون من حجر الكالكارنيت وحجر الجير الكالكارينيتي. وفي الجزء الأسفل يتكون من حجر جيري فتاتي دقيق الحبيبات كالكارينتي، ويبلغ سمكه في المقطع المثالي 113 م. وتنتشر صخور تكوين حنيفة إلى الشرق من تكوين جبل طويق مرتصفة حدوده الشرقية، وتظهر على جوانب الأودية العميقة القاطعة للطبقات الصخرية التي تعلوها حتى تصل إليها، وهي أودية: الخمرة، والعيينة، والعماريّة، ووبير، والقدّية، ولحى. كما تظهر أيضاً مغطية أراضٍ ما بين الأودية باتساع يتراوح بين 3 و 5كم. ويقطع باستمرار اتصال هذا التكوين مجموعة انكسارات وادي الأوسط ويضيق المنكشف بصفة عامة كلما اتجهنا نحو الجنوب، ويغطي هذا التكوين مساحة تبلغ 513 كم مربع تسهم بنسبة 11.7٪ من مساحة المنطقة. وتعود صخور هذا التكوين إلى العصر الجوراسي الأعلى. ويقع بين تكوين جبل طويق أسفل وتكوين الجبيلة من أعلى.

أهم روافد وادي حنيفة:

- **وادي الأيسن:** يبدأ من شرق مرتفعات طويق جنوب شرق الملقى وشمال مدينة الرياض، وينحدر جنوباً ماراً بغرب مدينة الرياض، وهو موازٍ لوادي البطحاء، وينتهي في وادي حنيفة غرب حي البديعة وشرق العريجاء، ويبلغ طوله نحو 38كم.

- **وادي الوتر (البطحاء):** يبدأ من الشمال بعد 15 كم من وسط مدينة الرياض، ويخترقها متجهاً ناحية الجنوب ويصب في وادي حنيفة، يبلغ طول مجراه نحو 25 كم، ويطلق عليه قديماً وادي الوتر.

يستقبل الوادي من جهة الغرب والجنوب الغربي عدداً كبيراً من الروافد التي تماثله في معظمها من حيث العمق والعرض، وأهم هذه الروافد:

- **وادي العمارية:** أكبر روافد وادي حنيفة وأوسعها وأكثرها شعاباً. وينقسم إلى قسمين كبيرين فوق قرية العمارية: الجنوبي منها يدعى اليسرى، والشمالي يدعى مزيرعة.

- **وادي صفار:** ينحدر من حمراء الجمل في قمة طويق، ويتجه ناحية الشرق أسفل الدرعية حيث ينتهي في وادي حنيفة، وله روافد من الشعاب تمده وتغذي واديه، ويبلغ طوله نحو 20 كم.

- **وادي مهدية:** ويقع في الركن الجنوبي الشرقي من جبل طويق الشمالي بين وادي وبير وعرقة. ويبلغ طوله نحو 32 كم، وعرضه نحو 5كم تقريباً.

- **وادي وبير:** ينحدر من قمة طويق ويتجه شرقاً حتى يصب في وادي حنيفة، ويقع بين وادي مهدية من الشمال وبين وادي لبن من الجنوب، ويبلغ طوله 22كم.

- **وادي لبن:** يمتد من مرتفعات طويق جنوب غرب الرياض، وينحدر باتجاه الشمال الغربي، ويصب في وادي حنيفة شرق لبن، ويبلغ طوله نحو 18كم.

- **وادي نمار:** ينحدر من جبل طويق من هضبة تلي ثنية أبي القد، ويتجه ناحية الشرق حتى يصب في وادي حنيفة مقابل أعلى منفوحة في الرياض، كما يتصل بوادي حنيفة من الغرب وادي لحى، ومن الجنوب الغربي وادي بعيجا ووادي الأوسط، ويبلغ طوله نحو 25كم.

46°20'

صلبوخ

شعيب صُلبوخ

شعيب أبو كِتادة

شعيب رُمَيثة

شعيب حرقان

شعيب الضَّيقة

شعيب الفاقحة

سدوس

شعيب الرُّكزة

شعيب سُويس

بنبان

شعيب الوُصيل

وادي حنيفة

شعيب أبو صُفي

العيينة

الجبيلة

شعيب غدرة

شعيب الحيسيَّة

وادي بوضة

شعيب الهُدُيدير

شعيب أم كثير

شعيب الوُحيرش

وادي اليُويطح

شعيب مُزيرعة

وادي حنيفة

شعيب السُّرى

شعيب الخشوص

شعيب الهُرير

باطن السرحة

وادي صفار

عرقة

وادي مهديَّة

وادي وبرة

وادي وبير

وادي لبن (بطن الخال)

شعيب السقطة

شعيب الهُبيحيض

وادي نمار

شعيب مطوية

وادي لحا

شعيب أبا الهيثم

وادي الأوسط

المركز السعودي لنظم المعلومات الجغرافية التاريخية
Saudi Center For Historical Geographical Information Systems
SAUDI-HGIS

0 3.85 7.7 15.4 Km

الموقع الجغرافي لليمامة:

تحتل اليمامة مساحة شاسعة من الجزيرة العربية، وتمتد على مسافة 1000كم من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ عرضها 500كم، ولليمامة أقاليم عديدة، ومن أشهرها: "العارض" و"الوشم" و"سدير" و"الفُرعَ" و"الأفلاج" و"وادي الدواسر"، وتخترق الأودية تلك الأقاليم التي تمر بين سهولها وجبالها، كما أنها تحتوي على عددٍ من العيون، ومن أشهرها: "الخضراء" و"هيت"؛ ولذلك كانت تُسمى اليمامة "بالخضراء"؛ لأنها باتت خصبة وكثيرة الأشجار بسبب ارتوائها.

سوريا
فلسطين
الأردن
العراق
إيران
الكويت
قطر
الإمارات
البحرين
الخليج العربي
بحر العرب
اليمن
الربع الخالي
نهر دجلة
نهر الفرات
البحر الأحمر
عرعر
سكاكا
الجوف
تبوك
حائل
بريدة
الدمام
الرياض
المدينة المنورة
مكة المكرمة
الباحة
أبها
نجران
جازان
النفود الكبير
الدهناء
هضبة الحجرة
هضبة الصمان
حفر الباطن
وادي الباطن
وادي فجر
الحدود الشمالية
عرق سبيع
نفود سبيع
حرض شمام
حبال العارض (طويق)
طريف
القريات
طبرجل
العويقيلة
دومة الجندل
رفحا
حقل
البدع
ضبا
تيماء
موقق
بقعاء
العلا
الوجه
الشملي
الغزالة
سميراء
الحائط
السليمي
خيبر
أملج
الحناكية
ينبع
بدر
المهد
الذهب
رابغ
خليص
جدة
الطائف
الليث
القنفذة
عنيزة
الرس
وادي الرمة
ضرية
الدوادمي
الزلفي
الغاط
سدير
المجمعة
الشعيب
ثادق
شقراء
حريملاء
الوشم
العارض
الدرعية
البطين
القويعية
الخرج
الدلم
حوطة بني تميم
المجاردة
وادي السرة
وادي تربة
وادي رنية
وادي بيشة
وادي تثليث
تثليث
بيشة
وادي الدواسر
عقيق عقيل
السليل
الخماسين
الأفلاج
ليلى
وادي الغر
وادي حنيفة
وادي السهباء
الأحساء
النعيرية
قريه العليا
الجبيل
القطيف
بقيق
الهفوف
شرورة
المركز السعودي لنظم المعلومات الجغرافية التاريخية
Saudi Center For Historical Geographical Information Systems
SAUDI-HGIS

امتداد الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام محمد بن سعود ١١٣٩-١١٧٩هـ (١٧٢٧-١٧٦٥م)

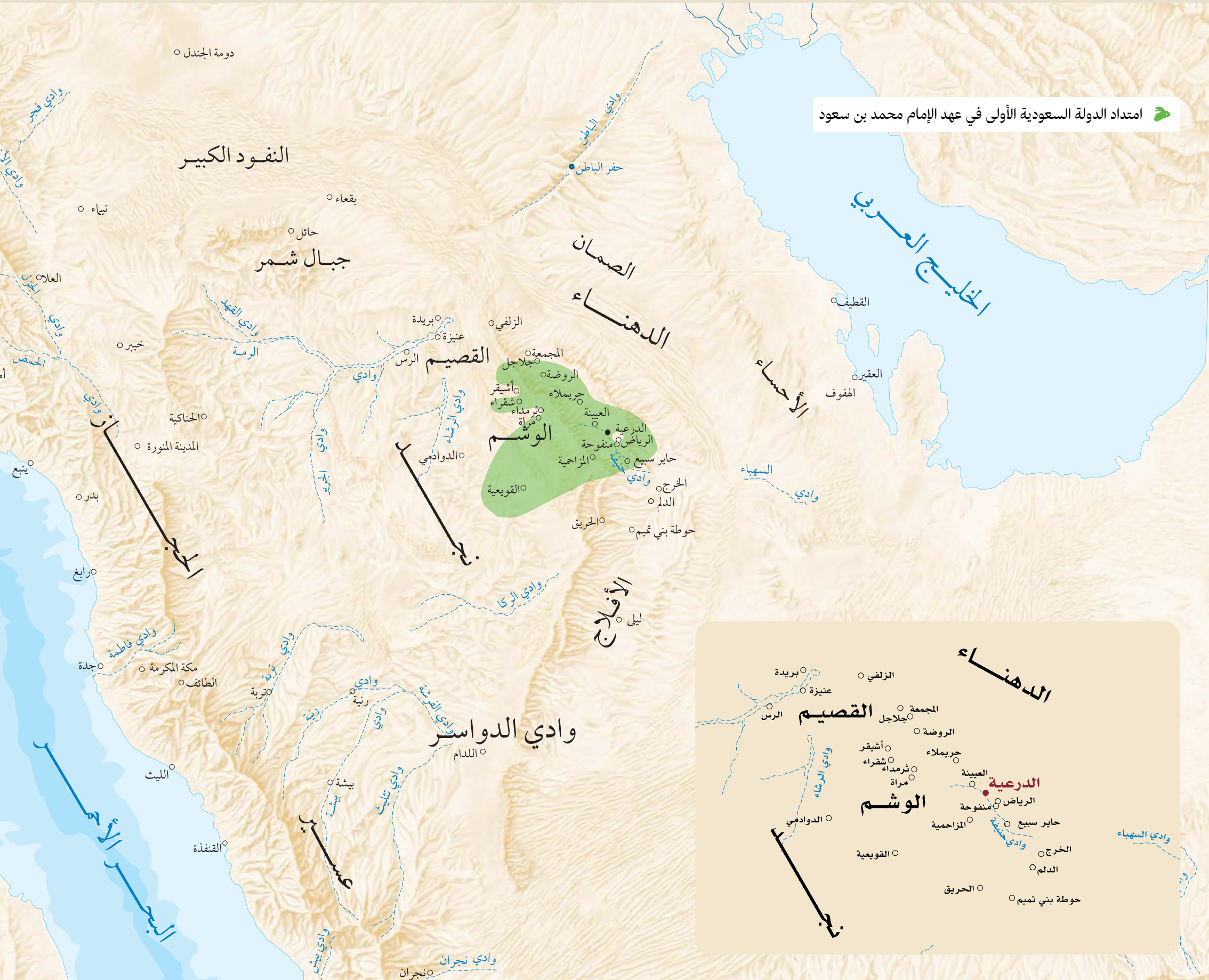

الموقع الجغرافي للدرعية:

تقع الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى في وسط الجزيرة العربية، وتحديداً في إقليم اليمامة الذي يحتل مساحة كبيرة من الجزيرة العربية.

يعد "وادي حنيفة" من أهم أودية الجزيرة العربية؛ إذ يحتل موقعاً استراتيجياً في إقليم اليمامة، ويمثل هذا الوادي منطقة جذب للاستقرار البشري ومحطة مهمة وسط الجزيرة لقوافل الحج والتجارة على مختلف الحقب التاريخية.
وتطل الدرعية على ضفاف "وادي حنيفة" الذي كان يعرف قديماً باسم "وادي العِرْض".

قال الأصمعي:
"أخصب ذلك العِرْض وأخصبت أعراض المدينة وهي قراها التي في أوديتها"، وقال في ذلك أبو عبيد السكوني: "عرض اليمامة، وادي اليمامة، ينصبُّ من مهبّ الشمال ويفرغ في مهبّ الجنوب مما يلي القبلة، فهو في باب الحجر، وما حوله من القرى تسمّى السفوح، والعرض كله لبني حنيفة إلا شيء منه لبني الأعرج من بني سعد بن زيد مناة بن تميم".

وقال الشاعر يحيى بن طالب الحنفي:

يُهيجُ عليّ الشوقَ من كان مُصعِداً ويرتاعُ قلبي أن تهبّ جنوبُ
فيا ربِّ سلِّ الهمَّ عني فإنني مع الهمِّ محزون الفؤادِ غريبُ
ولستُ أرى عيشاً يطيبُ مع النّوى ولكنه بالعِرْض كان يطيبُ

وفي زمن "طسم" و"جديس" وعند استقرار بني حنيفة تميز وادي حنيفة بالخضرة والنضرة، وكثرة المياه الجارية من مياه الأمطار والوديان والعيون.

يقول ابن خلدون:
"طسماً وجديساً كانوا من ساكني اليمامة، وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها، وأكثرها خيراً وثماراً وحدائق وقصوراً"،

ويستطرد ابن خلدون في حديثه فيقول:
"بقيت اليمامة بعد طسم يباباً لا يأكل ثمرها إلا عوافي الطير والسباع حتى نزلها بنو حنيفة".

تعد جبال طويق أو جبل طُويق أو جبال العارض أو عارض اليمامة، من أهم المعالم الجغرافية في إقليم اليمامة، وهي سلسلة جبلية تكوّن هضبة ضيّقة، تقع في قلب نجد. وتمتد جبال طويق على مسافة 800 كم، حيث تبدأ من صحراء نفود الثويرات، مروراً بوادي الدواسر، وصولاً إلى مشارف صحراء الربع الخالي.

سُميت السلسلة الجبلية بـ "طُوَيق" تصغيراً لـ "طَوق"، حيث تبدو مرتفعاتها على شكل طوق، تنتشر على أطرافها مراكز استيطان البشرية التي يعود وجودها إلى ما قبل التاريخ، ويمر من خلالها طريق مرصوف بالحجارة عبرته القوافل قديماً لأغراض الحج والتجارة.

علاوة على مكانتها التاريخية، شغلت جبال طويق حيزاً من الشعر القديم والمعاصر، وأشار إليها ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان في أثناء كلمته في مؤتمر مبادرة الاستثمار في الرياض عام 1440هـ (2018م)، قائلاً: **"همة السعوديين مثل جبل طويق"**.

تمثل جبال طويق الأيقونة الرسمية لمشروع مدينة القدّيّة، أحد أكبر المشروعات الترفيهية والرياضية والثقافية ضمن رؤية السعودية 2030، فعلى أحد سفوحها التي تبعد 50 كم عن العاصمة الرياض يستقر مشروع مركز مدينة القدية، حيث يصل ارتفاع الجبل إلى 600 م عند منطقة المشروع.

المُناخ:

يخضع وادي حنيفة عموماً، للنظام الصحراوي الجاف والحار صيفاً، البارد شتاءً.

كمـا يسيطـر على المنطقة الضغط المنخفض المـداري خلال الصيف، والضغط المرتفع نسبياً خلال الشتاء، وتتعرض المنطقة لهبوب الرياح الجافة في جميع الفصول. ويتراوح ارتفاع الهضبة التي تقع عليها الدرعية ما بين 500 إلى 900م فوق سطح البحر، وهو ارتفاع متوسط. ونتيجة لوقوع الدرعية على وادي حنيفة وسط شبه الجزيرة العربية بعيداً عن المسطحات المائية، وفي منطقة تخلو من البحيرات أو المجاري المائية الدائمة، فمناخها قاري متطرف، ترتفع بها الفروق الحرارية اليومية والسنوية، وتكثر بها ساعات سطوع الشمس، حيث ترتفع معدلات الرطوبة في فصل الشتاء نتيجة لسقوط الأمطار وانخفاض درجة الحرارة، وتنخفض في فصـل الصيـف بسبـب ارتفاع درجة الحرارة والجفاف.

الموارد المائية:

تقع الدرعية على وادي حنيفة الذي يعتبر مورداً طبيعياً للمياه السطحية الجارية في حوض مساحته 4590كم². وتعد مياه الأمطار من أهم المياه المغذية لوادي حنيفة، كما تؤثر مياه الأمطار على منطقة الدرعية عموماً، وتنعكس على كثافة الغطاء النباتي، وذلك باختلاف كميتها من عامٍ لآخر.

كما تتميز الأمطار في تلك المنطقة بأنها ليست محددة ولا تتوزع بالتساوي خلال الفترة المطيرة في السنة، وقد تقتصر أحياناً على عدة أيام ما يقلل من فعاليتها واستفادة النبات منها.

وقد تتساقط أحياناً على هيئة زخات مطرية، ما يؤدي إلى تكوين السيول السطحية التي كثيراً ما تكون جارفة. إضافة إلى ذلك فإن الأمطار في الدرعية قد تكون أحياناً جارفة، يسيل معها الوادي وتجري الشعبان مخترقة الدرعية، وقد تكون في بعض الأحيان عميقة جداً تصل إلى ارتفاع ثلاثة أمتار. وقد وصف ابن غنام ذلك في أحداث عام 1211هـ/1796م فقال: "وفيها وقع مطر عظيم وجرى سيل جسيم وكان ذلك وقت الوسمي وأوانه وحينه وزمانه وأول أيامه وإبانه، فزاد ذلك وأربى، وأشفق منه الناس مخافة وكرباً، و تلاطم موجه وزاد، وأزال كثيراً من دكاكين أهل البلاد، تعاظم جريانه وطما، وصعد بعض البيوت وارتمى". وأضاف ابن غنام "وفيها أيضاً في فصل الصيف أتى سيل أخجل الألباب والأذهان، ولم يجر قبله مثله في سابق الزمان، هدم بعض حوطة أهل الجنوب، وحصل للمسلمين منه كروب، وهدم من العيينة والدرعية وغيرها بيوتاً معودة، وأغرق زروعاً كثيرة محصودة، ولكن أدرك الناس به نعمة منيفة، ومنة من الله تعالى شريفة، حيث استمر سنة يجرى من غير مطر وادي بنى حنيفة، فطابت لهم البلاد، وحسن لهم العيش والحال، وأقاموا مدة هذه السنة في أنعم بال". وفي نهاية ما ذكره ابن غنام دلالة أخرى توضح مدى اعتماد الدرعية وما جاورها على مياه الأمطار، حيث يجري وادي حنيفة بجميع روافده مغذياً مزارع أهل الدرعية. وقد ذكر ذلك ابن بشر في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد)، فقال: "وفيها أنشأ الله سبحانه سحاباً أبرق وأرعد وأمطر، وسال منه نواحٍ وشعاب وبلدان كثيرة، فمنها حكر العيينة المعروف، امتلأ بالسيل وسال ما حوله من الشعاب، وسال بعض نخيل سدوس وحريملاء، وعم السيل نخيل بلد الحريق والحوطة في ناحية الجنوب، وسال الخرج سيلاً غزيراً، وعم جميع نخيله".

كما أشار إليها لويس بيلي في مقالته (رحلة إلى الرياض)؛ حيث وصف بعض الروافد التي تصب في ذلك الوادي، بقوله: "**بعد هطول أمطار غزيرة على المرتفعات، يجري السيل منحدراً بعمق يتراوح ما بين سبعة أقدام إلى ثمانية أقدام**".

الغطاء النباتي:

تقع شبه الجزيرة العربية ضمن إقليمين جغرافيين نباتيين رئيسين من الأقاليم النباتية التي تغطي منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

وتشكل بيئة وادي حنيفة عموماً، بيئة خصبة مناسبة للعديد من الأنواع النباتية التي يعد وجودها استثنائياً في بيئة صحراوية شديدة، وذلك نتيجة لوفرة الرطوبة في هذه الأماكن المنخفضة وقرب منسوب المياه الجوفية وما تتمتع به من صفات كيميائية تساعد على نمو مجتمعات محدودة من الأنواع النباتية الشجرية. وتتركز غالباً مجتمعات الأشجار على ضفاف الأودية وحافاتها، إلا أنها شبه منعدمة في باطن الوادي. ويسود غالباً في المجتمعات النباتية نوع أو أكثر من الأنواع النباتية المعمرة، ويصاحب هذه المجتمعات النباتية العديد من النباتات الحولية التي يتكرر وجودها في أكثر من مجتمع نباتي واحد وأكثر من موطن على حسب الظروف البيئية المحيطة. ويمكن توزيع المجتمعات النباتية على النحو التالي:

1. مجتمع الأشجار:

- النخيل:

تتميز الدرعية بوقوعها على وادي حنيفة، الأمر الذي جعلها منطقة خصبة وغنية بالمياه؛ وبالتالي فإن تلك البيئة مناسبة لنمو العديد من الأشجار والنخيل، لا سيما وأن هذه النباتات المعمرة تتمتع بصفات كيميائية تساعدها على النمو. وقد ذكر باركلي رونكير في كتابه (عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل) عام 1331هـ/ 1913م، أنه شاهد النخيل والأشجار الشاهقة التي كانت تغطي منطقة الدرعية ووادي حنيفة حيث قال: "استأنفنا السير في وادي حنيفة الذي غص قاعه بالخضرة والأشجار التي كان طول بعضها يزيد على خمسة أمتار ... استمر سيرنا في بطن الوادي الوعر حيث وصلنا بعد ساعة إلى واحة وارفة اسمها العلب امتلأت بأشجار النخيل ... عبرنا بلدة الدرعية ومن ثم خرجنا من وادي حنيفة وسرنا عبر هضبة بها بعض التعرجات البسيطة، شيئاً فشيئاً تلاشت أصوات أنّات السواري وأصوات خرير المياه، وهي تتصبب من القرب من الوادي ولم يعد أمامنا الآن إلا أرض قفراء، كنا نرى مع ذلك بعض رؤوس أشجار النخيل كلما اقتربنا من الوادي".

أشار أيضاً الرحالة جيرارد إيفلين ليتشمان في رحلته إلى أواسط الجزيرة العربية عام 1330هـ/ 1912م، إلى ازدهار الزراعة في منطقة الدرعية، فذكر ما نصه: "ومن هنا تمتد الأراضي الزراعية الكثيرة، وبساتين النخيل على طول مجرى الوادي". وقد عرفت الدرعية لدى مزارعيها وأصحاب المزارع أنها بيئة صالحة للزراعة وتتميز بخصوبة أراضيها ووفرة مياهها وعمق آبارها، حيث تنتج أجود أنواع النخيل وأطيبها، كما تتميز بوجود أشجار النخيل المعمرة، التي تنتج الكثير من أنواع التمور مثل الخلاص، والسكري، والنبوت، والسلّج، والمكتومي وغيرها.

- السَّمر:

تنمو شجرة السَّمُر في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وسواحل بحر العرب، وخليج عمان، والخليج العربي. أما في المناطق الداخلية من المملكة فيتركز السَّمر عادة على حواف الروضات والأودية ومسارب المياه، وذلك حيث تتجمع الترسبات الطينية والرملية. ونتيجة للقطع الجائر وغير المنظم الذي تعرضت له فقد تناقصت أعدادها، أو انقرضت هذه الشجرة في كثير من الأماكن التي كانت وجدت فيها، وأصبح وجودها محصوراً في المرتفعات الغربية من المملكة وسهول تهامة، إضافة إلى بعض الأماكن القليلة النائية والمحدودة المساحة في وسط وشرقي المملكة.كما أن من الملاحظ أن النباتات الأصلية مثل السَّمر، والطلح، والسلم لا تتواجد إلا عند أقدام حافات الوادي وأصبحت شبه منعدمة في باطن الوادي الذي تدهور نتيجة الطغيان البشري عليه.

- الطلح:

ينبت الطلح Acacia raddiana في الأراضي السهلة، وشبه الصخرية ومسايل الأودية، وهي توجد في أقصى شمال وادي حنيفة وتوجد كذلك عند أقدام حافات الوادي الرئيس عند المصب. كما تنمو أشجار الطلح على مسافات متقاربة جداً. وللطلح أهمية اقتصادية كبيرة فهي من الأشجار المناسبة لإنتاج أجود أنواع العسل، وتستخدم ورقها وثمارها كعلف وغذاء للمواشي، كما تستخدم أعوادها وقوداً، ويوجد بها صمغ صالح للأكل، ومن أهم الأنواع النباتية المعمرة المصاحبة للطلح الشبرم، والهرم، والسلم، والسمر، والعوسج، والثمام، وغيرها.

شجرة الطلح Acacia raddiana

2. مجتمع الجنبات والجنيبات

- الشنان:

يتركز نبات الشنان في الأراضي التي تكون ما بين الأودية، أو على خطوط تقسيم المياه. وتوجد عدة نباتات مصاحبة للشنان وهي: نبات الضعة، والقرضي، والرمرام، والغلقة، بالإضافة إلى بعض النباتات الحولية التي تنبت عقب سقوط الأمطار. كما يحتل الشنان المرتبة الأولى من حيث الأهمية بين هذه الأنواع النباتية المعمرة.

- الأثل (الطرفاء):

تنتشر أشجار الأثل Tamarix spp في وادي حنيفة. وتنمو في أماكن يصعب على الأنواع الأخرى النمو فيها لتحملها الملوحة والجفاف، إضافة إلى مقاومته الشديدة للرعي والقطع وقدرته على التكاثر بسرعة. ومن أهم الأنواع النباتية المصاحبة للأثل" العاقول، والطلح.

- الثمام:

ينتشر الثمام في شمال الوادي قريباً من وادي الحيسية. ومن أهم الأنواع النباتية المصاحبة للثمام العشر، والعوسج والسلم، والرمرام، والقرضي، والقيصوم، بالإضافة إلى بعض النباتات الحولية التي تنبت عقب سقوط الأمطار.

- الحرمل:

ينتشر في شعيب مزيرعة بالعمارية باتجاه الشرق من سد العمارية، ويتركز في الأجزاء التي تم فيها القضاء على الغطاء النباتي الطبيعي، لا سيما النباتات المعمرة المستساغة للرعي، وذلك بوساطة الرعي الجائر أو القطع. ويشكل الحرمل النوع الغالب من الأنواع المكونة لهذا المجتمع. ومن أهم الأنواع النباتية المصاحبة للحرمل الشبرم الثمام، والرمرام، والعرفج، والنقد، بالإضافة إلى بعض النباتات الحولية التي تنبت عقب سقوط الأمطار. كما تتميز بقرب المسافات فيما بينها.

3. مجتمع الحشائش والأعشاب:

تنتشر الحشائش والأعشاب في المناطق المنخفضة أقصى وادي حنيفة، ووادي الحيسية. ومن أهم الحشائش والأعشاب التي تنمو في تلك المنطقة النفل، والربلة، والصمعاء، وحشيشة الأرنب، والصميعاء، والخبيز، والهيثم، واللصيق، والجهق والدريماء، والحوذان.

ومن أهم الأنواع النباتية المميزة لمنطقة وادي حنيفة:

- لصيق
- كريدون أسود
- مشط الذيب
- رمث
- ثوم
- مسيكة
- خبيزة
- نقِيع
- مرخ
- سعَدَان
- حَمَاط
- قرضي
- ذنبان
- كف مريم
- بسباس
- إقحوان
- نَقد
- بَروَق
- ربلة الحمار
- جثجاث
- صَفَار
- نصِي
- مليح
- زهر
- حَمَاء
- عشرق
- علقى
- سْبَط
- أرطى
- تَنْضيب
- خِننَيز
- زمزوم
- عَلندَة
- دريماء
- حاد
- خزامى
- سواس

الحيـاة الفطرية:

تعيش في منطقة الدرعية العديد من الحيوانات البرية التي تناقصت أعدادها بسبب الصيد الجائر ومن أهمها:

- الوضيحي:

ويطلق عليه (المها العربي) وكان منتشراً في معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية حتى بداية القرن 19م. وينتمي إلى فصيلة البقريات التي تعيش في بيئات متنوعة من شبه الجزيرة العربية، كالسهول الحصوية المغطاة بالرمال.

- غزال الريم (الآرام):

وهي الظباء البِيْض الخالصة ومساكنها الصحاري الرملية. وكانت منتشرة بأعداد كبيرة في معظم أنحاء الجزيرة العربية، ومن المعتاد مشاهدتها في الصحاري خاصة في المناطق الرملية، والسهول، والهضاب الصخرية حيث تتوافر فيها النباتات والأعشاب خاصة العرفج الذي يمثل مصدراً غذائياً هاماً يحتاجه الريم.

- الوعل:

وهو حيوان جبلي يشبه الماعز، وينتمي لفصيلة البقريات، ويعيش في مجموعات صغيرة في المناطق الوعرة والخوانق الجبلية، وتعد بطون الأودية من أكثر المناطق التي ترتادها الوعول لتتغذى على الأعشاب، حيث تنزل إليها مع مطلع النهار وتعود إلى أماكنها عندما تشتد الحرارة. ومن النباتات المفضلة عند الوعول شجيرات الطلح والسواس والسرح.

- الثعلب العربي:

يعد الثعلب الأحمر أكثر أنواع الثعالب انتشاراً في الجزيرة العربية، ويعيش في جحور يحفرها تحت الأرض، أو الكهوف أو الشقوق في الجبال حول المناطق السكنية غالباً، وهو حيوان ليلي المعيشة يخرج ليلاً للبحث عن الغذاء حول المدن وفي المزارع، حيث يسطو على الحيوانات المستأنسة.

- الأرنب العربي:

يستوطن الجزيرة العربية خمسة أنواع من الأرانب تتوزع في المناطق المختلفة، وفي المملكة العربية السعودية منها نوعان: أحدهما يستوطن الهضاب والمناطق الجبلية، والآخر المناطق الرملية. والأرنب متكيف مع البيئة التي يعيش فيها، فلون النوع الذي يعيش في الجبال داكن مشابه لبيئة الهضاب والجبال، بينما لون النوع الذي يعيش المناطق الرملية يميل إلى اللون الفاتح الرملي.

الطيـــور

- الطيور الدائمة:

من أهم الطيور المألوفة في وسط الجزيرة العربية العصفور المنزلي والذي يعيش ويتكاثر في المزارع وقرب تجمعات المياه والأشجار، كذلك الحمام المطوق وحمام النخيل والذعرة الصفراء، وتتواجد في المناطق الزراعية حيث تتوافر المياه والأشجار وخاصة أشجار النخيل. كما يعيش البلبل الأصفر في المزارع والأراضي التي يتوافر فيها الغطاء النباتي، وفي بطن الوادي حيث تنتشر الأشجار والجنبات.

- الطيور المهاجرة:

تتبع الطيور المهاجرة بغرائزها طرقاً في هجرتها قد تبلغ آلاف الأميال. وللجزيرة العربية دور في التقاء تلك الطيور المهاجرة بحكم موقعها المتوسط والمتميز في العالم. فبعض الطيور المهاجرة تتدفق وتعبرها مرتين في السنة الواحدة، حيث تأتي من غرب أوروبا عبر البحر المتوسط ثم سواحل البحر الأحمر إلى شرق إفريقيا.

الزواحف

تنتشر الزواحف في حصاري البيئة العربية، والتي تعتمد في غذائها على الحشرات أو اللحوم والأعشاب. وتعد السحالي من أكثر أنواع الزواحف المعروفة انتشاراً أو التي يمكن رؤيتها في أماكن مختلفة في المناطق الرملية ومناطق الحشائش وعلى جدران المنازل، وذلك بسبب قدرتها العالية على التكيف مع الظروف البيئية.كذلك الضب يعد من أكثرها انتشاراً في تلك المنطقة، وهو يعيش في جحور عميقة يحفرها في الأراضي الرملية والصلبة، كما أن لديه القدرة على التكيف مع الظروف البيئية. وتوجد العديد من الثعابين السامة وغير السامة، وتنتشر في الصحاري والمزارع، وتختبئ بين الجحور والصخور وبين الأشجار، والسحالي، والضفادع، والطيور، والقوارض الصغيرة، ومن أشهر تلك الثعابين: أفعى المقرنة أم جنيب، وأفعى السجاد الشرقي، والصل الأسود، وأبو عيون، وشبيه القط، والثعبان الأسود، وأبو السيور الشجري.

التاريخ

جذور التأسيس

تعود تسمية بني حنيفة إلى قبيلة (بنو حنيفة)، وهي إحدى قبائل فرع بكر بن وائل العدنانية؛ وهم: بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وكان له من الولد: الدؤل، وعدي، وعامر. ساق ياقوت الحموي خبر قدومها إلى اليمامة، وأقاموا في بلدة حَجْر، وقرى وادي حنيفة، وشعابه المختلفة والذي ما زال يحمل اسمها إلى اليوم، وتمتد منازل بني حنيفة في القسم الشمالي من اليمامة بامتداد الوادي من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي.

هجرة بني حنيفة من غرب الجزيرة العربية إلى وسطها.

استقر بنو حنيفة في اليمامة وذاع صيتها، وعرفت بالبأس والشجاعة لكثرة حروبهم، واتخذوا حجر اليمامة حاضرة، وموضعاً، ومستقراً لهم بنحو مئتي سنة قبل بعثة النبي محمد ﷺ .

وقد مارس بنو حنيفة حرفة الزراعة في أهم أودية اليمامة (العِرْض)، نظراً إلى وفرة المياه، وصلاح تربتها للزراعة، ويعتبر بنو حنيفة من القبائل ذات القوة والمنعة؛ حيث نزلت في أهم مناطق نجد وأخصبها، وما تزال لها بقية في المنطقة إلى اليوم، بدليل نسب بعض السكان إليها. أما حدود منازلها فكانت الدهناء شرقاً، نفوذ الوركة (قُنَيْفِذَة) غرباً، ومن وادي قُرّان (الشعيب) شمالاً، إلى جنوب منطقة جو الخضارم (الخَرجْ)، جنوباً؛ هذه حدود منازل استيطان بني حنيفة.

أسس بنو حنيفة عدداً من مراكز الاستقرار التي امتدت على ضفاف الوادي الذي أخذ تسميته منهم (وادي حنيفة)، حيث تحولت اليمامة إلى إقليم تحت نفوذ بني حنيفة، وعندما ظهر الإسلام كان ملك اليمامة ثمامة بن أثال الحنفي، وكان يسكن هو وقومه مدينة حجر والمناطق المحيطة بها الذي يعتبر أشهر الثابتين على الإسلام، عندما ارتد بعض بني حنيفة، وهذا يبين مدى الاستقرار والقوة في هذا الإقليم عند ظهور الإسلام ومدى العلاقة القوية بالنبي ﷺ.
خلال العصر الأموي والعباسي وبعد انتقال العاصمة من المدينة المنورة إلى خارج الجزيرة العربية، أُهمل إقليم اليمامة نحو ألف عام، وخلال تلك الفترة تأسست الدولة الأخيضرية، في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، واتخذت من الخضرمة، في (الخرج) عاصمة لها، وهذا ما أثر في مدينة حجر بعد سيطرة الأخيضرين على المنطقة، واتبعوا سياسة قاسية أدت إلى هجرة بعض السكان.

وتعود أسباب هجرة بني حنيفة إلى: الرغبة في الاستقرار، والظروف السياسية والعسكرية، التي نتجت عن حروب الردة، والعامل الاقتصادي الذي جذب عدداً من بني حنيفة إلى خارج مواطنهم، والفتن الداخلية، وضعف الأمن الداخلي في إقليم اليمامة، وتدمير الزراعة بسبب السيول التي اجتاحت اليمامة.

ظلت حَجْر قاعدة اليمامة حتى منتصف القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي، تحديداً في تاريخ 850هـ/ 1446م عندما انتقل مانع بن ربيعة المريدي الحنفي، وأفراد عشيرته من الدرعية الأولى في شرق الجزيرة العربية إلى وسطها لتأسيس الدرعية الثانية، واستقبل ابن درع حاكم حَجْر ابن عمه وعشيرته في وادي حنيفة، وأقطعه موضعي غَصِيْبَة، والمـُليَبِيْد، اللذين يقعان شمال غرب مدينة حجر، فجعل مانع غَصِيْبَة مقراً له ولحكمه، وبنى لها سوراً، وجعل المـُليَبِيْد مقراً للزراعة، ومن هنا أطلق اسم الدرعية على كل من غَصِيْبَة والمُليَبِيْد، وما بينهما بعد استقرار مانع المريدي وأولاده في ذلك الموقع. ويعد هذا الحدث أحد أبرز أحداث الجزيرة العربية في العصر الوسيط؛ فقد كان قدوم مانع المريدي اللبنة الأولى لتأسيس أعظم دولة قامت في المنطقة في تاريخ الجزيرة العربية بعد دولة الإسلام النبوة والخلافة الراشدية.

رسم يدوي للدرعية ووادي حنيفة في عام 1808م للفرنسي جون باتست روسو

الدرعية مهد الدولة:

تقع الدرعية جوهرة المملكة العربية السعودية الثمينة بإرثها التاريخي العريق في وسط الجزيرة العربية بالقرب من مدينة الرياض، وتعكس الدرعية بالنسبة للسعوديين هوية حضارية قيّمة ومجـــداً تليداً يحكي عن أكبر وأعظم إرثاً تاريخياً في المملكة العربية السعودية، حيثُ كانت عاصمة الدولة السعودية الأولى، وكانت ذات أهمية تاريخية تزخر بالمعالم الوطنية والحضارية القديمة التي تشهد على مكانتها التاريخية المتمثلة بموقعها الاستراتيجي المتميز الغني بمقومات الحياة المتجددة، وبطبيعة اجتماعية آمنة ومستقرة، قائمة على مبادئ مهمة؛ كتحقيق العدل والمساواة بين طوائف المجتمع، ونشر الأمن والأمان في ربوع البلاد، وهذا كله قد أدى إلى الانطلاقة بالدرعية في عصرها نحو التقدم والتطور والازدهار، ما جعلها قبلة غنية بالخيرات لجميع المناطق السعودية المتناثرة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

ومُنـذ أن أصبحـت الدرعيـة عاصمـة الدولـة السـعودية الأولـى، وفـد إليهـا كثيـر مـن الذيـن أصبحـوا جـزءاً مـن كيـان ومجتمـع الدولـة السـعودية، مـن طلبـة العلـم والتجـار مـن مختلـف الطبقـات فكانـت ملاذاً للذين يبحثـون عـن الأمـن والأمـان والاسـتقرار، والتجـارة وطلـب العلـم وكانـت بالنسـبة لهـم رغـد العيـش وسـعة الـرزق والخصـب، فأصبحـت مركـزاً اسـتراتيجياً مهمـاً للتواصـل والتفاعـل مـع مختلـف النـاس داخليـاً وخارجياً، واتسـعت مسـاحتها وازدهـرت عمارتهـا ومرافقهـا الحيويـة فكانـت مـوئلاً للباحثيـن عـن الـرزق وعـن الاسـتقرار. وقـد اسـتمرت الدرعيـة مركـزاً ثقافيـاً وتجاريـاً واقتصاديـاً للجزيـرة العربيـة طيلـة القرنيـن 12 13هـ/ 17 18م .

وفي مجتمع العاصمة كانت هناك مجموعة من القبائل والأُسر العربية الأصيلة التي تعيش مع بعضها، وكانت النظرة بينهم تتسم بشعور الانتماء للمكان والولاء للدولة، أما عن طريقة المعيشة؛ فإن مجتمع وسط الجزيرة العربية كان منقسماً إلى قسمين: الحاضرة وهم سكان القرى، ومن المهن المتصلة بهم الزراعة والتجارة، والبادية وهم الذين يتنقلون بناءً على توافر المياه والعشب والكلأ، ومن المهن المتصلة بهم الرعي ، وعندما أرست الدولة الوحدة على كافة الجزيرة العربية وكانت الدرعية هي العاصمة وقلب البلاد، حولت المكان من الواقع الذي يسوده الفوضى إلى وحدةٍ مستقرة ذات كيان بشري واحد يجمع بين مختلف الطوائف لهدف واحد ومصير واحـد تحـت حكـم أسـرة عربية أصيلة؛ وهي أسرة آل سعود.

ازدهرت الدرعية العاصمة ونمت على مر الأيام، حتى أصبحت ذات شأن كبير متنوعة الأحياء والنواح ممتلئة بالمساجد والمدارس والأسواق التجارية، مكتظة بالأموال والأعمال وتزهو بمبانيها الفاخرة وبها حركة لا يماثلها حركة في أي مدينة غيرها، فمن رأى أسوارها، وحصونها، وقلاعها، وفخامة دورها، وقصورها، وأسواقها، وضخامة مبانيها الشاهقة، رأى شيئاً متطوراً وغريباً عن تلك الحقبة الزمنية ويؤكد ذلك بلا

شك على حقيقة واحدة وهي أنها مدينة تنطلق من قوة متجددة ومتطورة.

الدرعية منارة للعلم والثقافة:

العلم يبني المجتمعات ويجعلها قوية ومتماسكة، وهو جزء من الحضارة الفكرية لأي مجتمع، فيُعرف الفرد القوي والمثقف من مكانة العلم في مجتمعه، حيثُ تُـــمثل الأرض التي ترعرع عليها المركز العلمي المشع لكافة النفوس الظامئة للتعلم، لذلك حرص الأئمة السعوديون على الاهتمام بالعلم والتعليم ودعمه على كافة الأصعدة، فكان الإمام في الدولة السعودية الأولى لا ينقطع عن مجالس العلم في حله وترحاله، حتى أصبحت الدرعية منارة علمية يقصدها الناس من داخل الجزيرة العربية وخارجها.

ومن شدة حرص أئمة الدولة السعودية الأولى على أن يستفيد الجميع من مجالس العلم، كانت تُقام الدروس الأساسية ثلاث مرات في اليوم وأكثر، أولها عند شروق الشمس في (الباطن) الموضع المعروف في سوق الموسم، ففي وقت الشتاء اعتاد الناس على الجلوس عند الدكاكين الغربية للاستماع للدروس، أما في وقت الصيف يكون الدرس عند الدكاكين الشرقية، وفي صدر المجلس يجلس الإمام سعود بن عبدالعزيز وبنيه وإخوانه، ويبدأ التدارس بين الإمام والحضور، وكان انعقاد الدروس في السوق يجذب للجلوس والاستفادة من الثقافة الملقاة.

وعندما يفرغ الإمام من الدرس يدخل إلى قصره ويجلس في مجلسه القريب من الناس، ويستقبل طلباتهم وينظر إلى حوائجهم وعند اشتداد النهار يأتي وقت القيلولة ويدخل الإمام إلى بيته، وبعد صلاة الظهر يبدأ الدرس الثاني حيثُ يأتي الناس إلى درس المساء في قصره ولذلك وضع الإمام مجالسه من ثلاثة طوابق كل مجلس فوق الآخر في موضع بين الباب الخارج والباب الداخل على نحو من خمسين سارية، فمن أراد أن يجلس في أي طابق اتسع له ذلك، ثم يأتي إخوته وأبناؤه وعمه وبنو خواصه على عادتهم للدرس ويجلسون بين الناس، أما العالم الذي يجلس ليدارسهم هو إمام مسجد الطُّريف عبدالله بن حماد، وفي بعض الأحيان يدير الدرس القاضي عبدالرحمن بن خميس إمام مسجد القصر، فيقرأ الاثنان في تفسير ابن كثير ورياض الصالحين، فإذا فرغا من الكلام يأتي الإمام سعود ويشرح ما تم تداوله.

أما الدرس الثالث فقد كان يبدأ من بعد صلاة المغرب حيثُ يجتمع الناس فوق سطح مسجد القصر المذكور، ويأتي الإمام للجلوس بين الناس، فإذا جلس يبدأ القارئ بقراءة صحيح البخاري. وعن الصلوات المكتوبة فقد كان الإمام يصليها في مسجد قصره ويصلي معه فئة من الناس، بخلاف يوم الجمعة فإنه يصلي مع الناس في مسجد الطُّريف وهو المسجد الجامع في المنطقة.

لم يكن اهتمام الأئمة السعوديين بالعلم وحث الناس على التعلم يقف عند حد الدروس اليومية، بل إن الإمام كان يحرص على دعم العلماء وطلبة العلم بالمال وبكل السبل الممكـــنـــة التـــي تشجعهم على التعلم وعلى نشر العلم،

وعلى سبيل المثال كان الإمام عبدالعزيز بن محمد يرسل قسماً خاصاً من المال إلى طلبة العلم وحملة القرآن والمعلمين والأئمة والمؤذنين في جميع المناطق، وبسبب عطاء الأئمة الجزل وحرصهم على العلم كان الصبيان من أهل الدرعية إذا خرجوا من عند المعلم يصعدون فوراً إلى مجلس الإمام بألواحهم حتى يعرضوا خطوطهم عليه، فمن استحسن خطه منهم أعطوه جزيلاً وأعطوا الباقين دونه. إن ازدهار الحركة العلمية في العاصمة الدرعية واستقبالها للطلاب الوافدين من الخارج قد أسهم في انتشار مهنة النساخين وزيادة عدد المكتبات الخاصة والعامة، حيثُ احتوت مكتبات الدولة السعودية الأولى على بعض المخطوطات النادرة من مختلف المناطق، فكانت هناك مدرسة خاصة للخط والنسخ برز فيها عدد من النساخين والخطاطين الذين تميزت خطوطهم بالجمال وذات أسلوب خاص، وكان من ضمنهم الوافدون الذين قدموا من مختلف المناطق للانضمام لتلك المدارس، وللنساخ في مجتمع الدرعية مكانة مهمة تماثل مكانة الناشرين في عصرنا الحديث، وكان النسخ يُعد مهنة يتوارثها الأبناء.

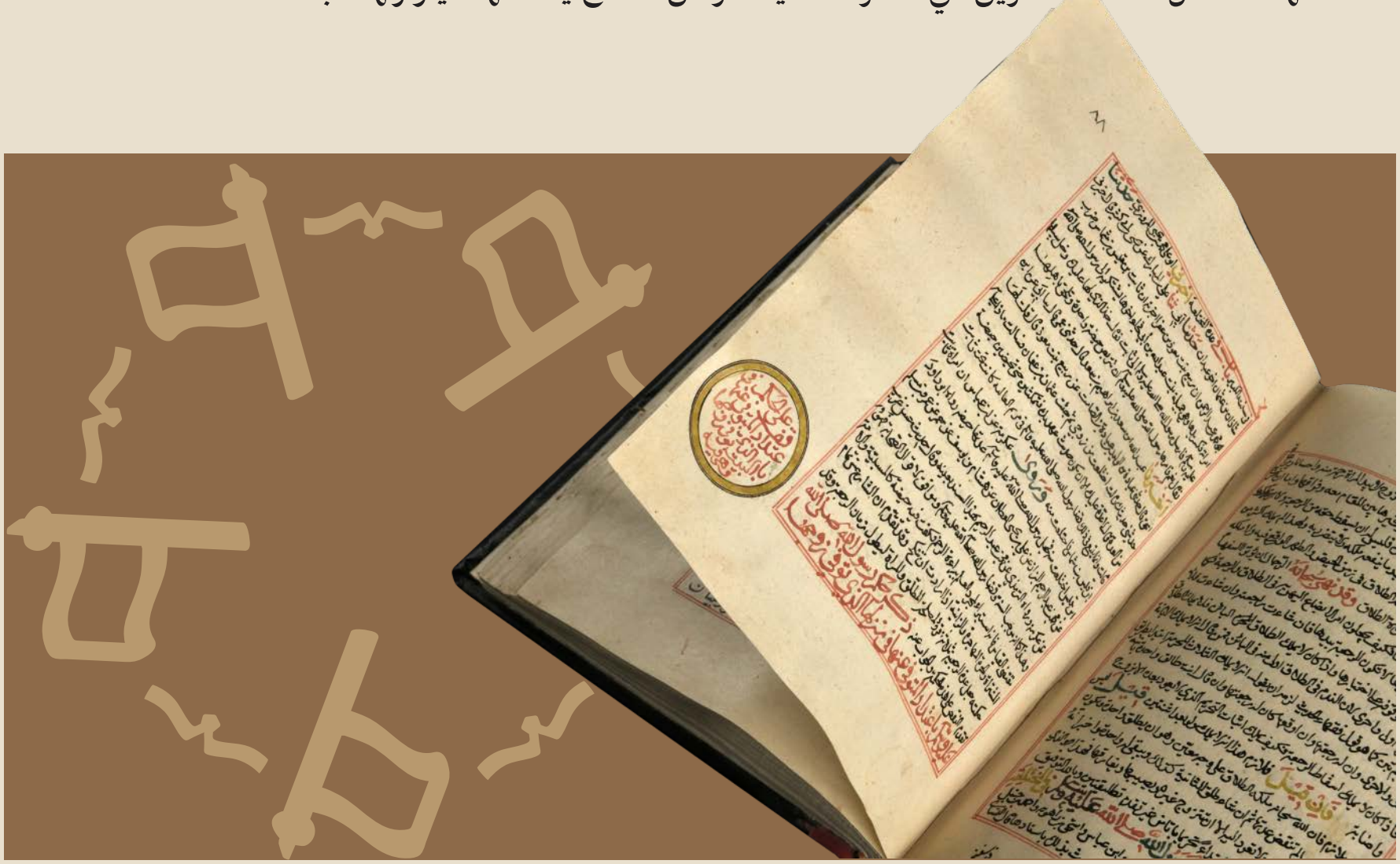

من مخطوطات الدرعية: زاد المعاد في هدى خير العباد

الاقتصاد والعمران:

كانت الدرعية بحسب المصادر المعاصرة للدولة السعودية الأولى ذات وضعٍ فريد وسوق تجاري ومالي عجيب، وقد اتصلت بغيرها على الصعيد التجاري والتداول الاقتصادي، وكانت قوة الدرعية تتمثل في قوة أهلها وكثرة رجالها وكثرة أموالها وتنوع مصادرها، ويقول عثمان بن بشر عن انتعاش اقتصادها: "وكان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق، هذا داخل فيها وهذا خارج منها، وهذا مستوطن فيها". ويعطي ذلك دلالة واضحة على استتاب الأمن واتساع التجارة في عاصمة الدولة السعودية الأولى، وأيضاً مؤشرٌ حيوي يدل على المكانة الاقتصادية التي احتلتها الدرعية، حيثُ اعتبرت مركزاً تجارياً يتصل بغيره وعلى أرضها توزع البضائع، وفي الحقيقة لا تزدهر التجارة أو يُذيع صيتها إلا في أرضٍ آمنة، وهذا هو حال الدرعية وسوقها الغني بالموارد التجارية والمحلية.

واشتهرت الدرعية بعدد من القصور والمساجد قوية البناء وفخمة المنظر، مثل: قصر سلوى ومسجد الطُّريف حيثُ تميزت بجمال التصاميم المعمارية التي تمثل طابع العمارة المنتشر آنذاك، وتمثل أيضاً ثراء وازدهار الدرعية وتطورها حيثُ كانت المباني تُمد إلى ثلاثة أو أربعة طوابق، وكان البناؤون من أهالي الدرعية، فقد كان كبيرهم ابن حزيم الذي يسكن في حي الطريف.

الصناعة:

اهتم أئمة الدولة السعودية الأولى بالصناعة وتطويرها، فمن المعروف أن أراضي الجزيرة العربية غنية بالموارد الحيوية التي تشكل جزءاً من الصناعات المختلفة كالحديد على سبيل المثال، ولذلك حرص الأئمة على تشجيع السكان على الاستفادة من خيرات الأرض والتصنيع منها، فانتشرت على سبيل المثال مهنة الحدادة والحياكة والنجارة وأعمال النحاس، فظهرت الصناعات التالية: تصنيع الأسلحة كالسيوف، وأسنة الرماح، والخناجر، والحراب، وكذلك سروج الخيل، والذهب، والفضة، إلى جانب المنسوجات اليدوية كحياكة العباءة وتصميم وخياطة الملبوسات النسائية والرجالية، فلم تكن هذه الصناعات محدودة البيع على أراضي الدرعية، بل كانت القوافل التجارية تشتريها وتبيعها

معالم نابضة تزهو في أذهاننا

- ومن معالم الدرعية التاريخية:

1- وادي حنيفة:

كان وادي حنيفة منذ قديم الزمان على درجة كبيرة من الخصوبة ووفرة المزروعات، وكثرة السكان، وانتشار القرى من أعلاه إلى أسفله، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة بنو حنيفة التي سكنت فيه قبل الإسلام، ويمر الوادي بين حيين من أحياء الدرعية، وهما حي الطريف من الغرب وحي البجيري من الشرق، وكان يُطلق على الوادي قديماً وادي الباطن ووادي العِرض أو عِرض اليمامة.

2- حي الطُّريف:

يطل حي الطُّريف على وادي حنيفة من الناحية الغربية، وهو مقر الحكم من عصر الدولة السعودية الأولى، وفي هذا الحي توجد مجموعة من القصور الفخمة كقصر سلوى، وقصر الإمام عبدالله بن سعود، وقصر الأمير ثنيان بن سعود، وقصر الأمير عمر بن سعود الذي يطلق عليه مقصورة عمر؛ والذي كان من أهم المواقع الدفاعية لحي الطريف، وقصر الضيافة الذي يحتوي على حمَّام الطريف. وقد دخل حي الطريف في عام 1432هـ/ 2010م قائمة التراث العالمي التابعة لليونسكو.

3- قصر سلوى:

يقع قصر سلوى في الجهة الشمالية الشرقية من واجهة حي الطُّريف، وقد وضع الإمام عبدالعزيز بن محمد لبِنَتهُ الأولى، ليكون قصر الحكم ومقراً للحكم في عصر الدولة السعودية الأولى، ويعتبر القصر من أهم معالم الدرعية الأثرية حيثُ شهد القصر على رحلة توحيد الجزيرة العربية ومنه صدرت الأوامر المهمة، شُيد القصر بإتقان ومهارة ودقة في النِسب المعمارية وتعدد في الطوابق الذي لم يكن مألوفاً آنذاك، وفي القصر وضُعت قاعات مخصصة لمجالس العلم والثقافة.

4- مسجد وسبالة موضي:

تتكون السبالة من طابقين ويحيط بها فناء مكشوف كانت تستعمل في إقامة وسكنى التجار الرُّحل القادمين إلى الدرعية، وبجانب السبالة كانت هناك محلات تجارية تُقام بشكل مؤقت لتقديم الخدمات للتجار والوافدين على الدرعية، ويرفق بالسبالة أيضاً مسجد، ومجلس، وغرف للنوم، وغرف للطعام وللتخزين، ومطابخ تقع جميعها في الطابق الأرضي .

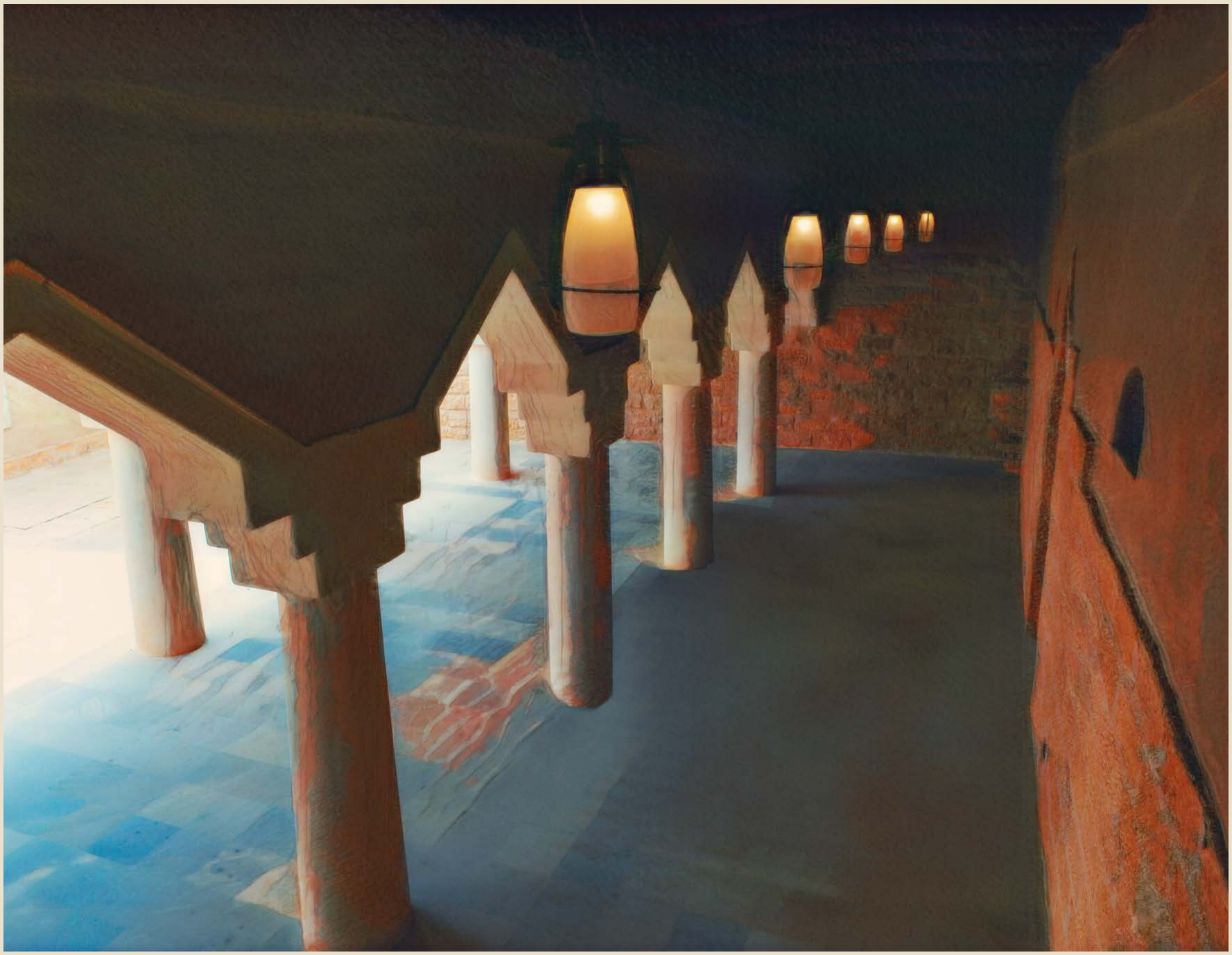

5- حمام الطُّريف:

أُنشئ حمام الطُّريف إلى جانب الوحدات السكنية المخصصة للضيوف في جنوب حي الطُّريف، ويتكون الحمام من ثلاث حجرات أولاها باردة ثم دافئة ثم ساخنة حتى ينتقل المستحم بين الغرف تدريجياً ولا يصاب بالأذى عند تغير الجو، وعن بنائه يُحكى أن الإمام سعود بن عبدالعزيز قرر الاستفادة من وفرة أموال الدولة في ظل استقرار البلاد اجتماعياً وثقافياً، لا سيما عندما شعر بأن العاصمة أصبحت مقصداً مهماً لأُمراء الأقاليم ورؤساء القبائل، ولذلك فكر في إقامة منشآت معمارية وحضارية تخدم السكان والوافدين وكان من ضمنها حمام الطُّريف، فأصبح الحمام من الآثار المهمة في الدرعية والتي ترمز إلى حضارة المكان ومواكبته للعصر.

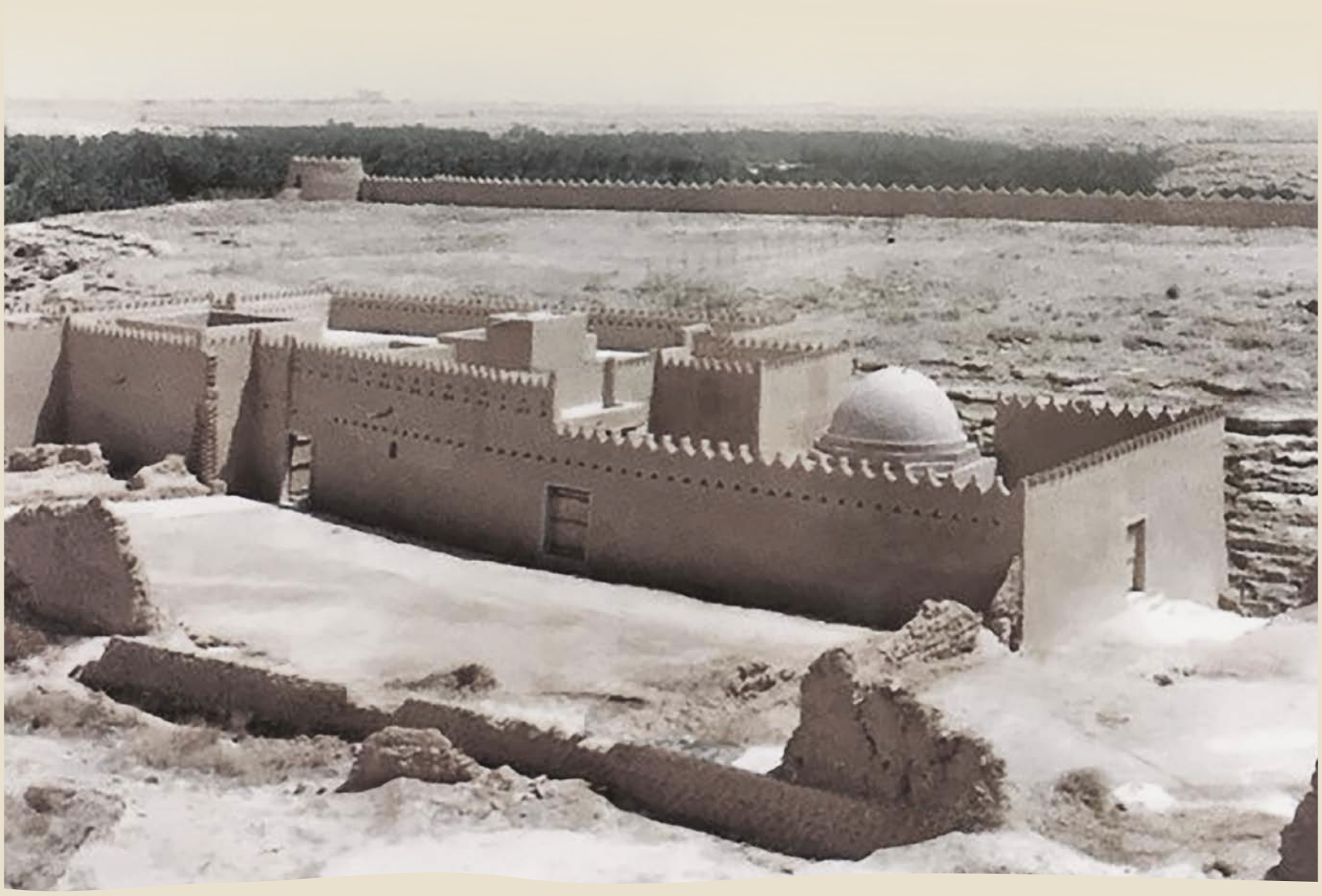

الدرعية في عيون معاصريها

1- عثمان بن بشر قال عام 1233هـ/ 1818م:

وكانت هذه البلدة أقوى البلاد، وقوة أهلها وكثرة رجالهم وأموالهم لا يحصيه التعداد، فلو ذهبت أعدد أحوالهم وإقبالهم فيها وإدبارهم في كتايب الخيل والنجايب العمانيات وما يدخل على أهلها من أحمال الأموال من سائر الأجناس التي لهم مع المسافرين منهم، ومن أهل الأقطار، لم يسعه كتاب ولرأيت العجب العجاب، وكان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق من اليمن، وتهامة، والحجاز، وعمان، والبحرين، وبادية الشام، والعراق، وأناس من حاضرتهم، إلى غير ذلك من أهل الآفاق ممن يطول عده، هذا داخل فيها وهذا خارج منها، وهذا مستوطن فيها.

2- فتح الله الصائغ سنة 1226هـ/ 1811م:

الدرعية بلدة صغيرة بها ماء وافر، عماراتها من الحجر الأبيض، ومن صنائعهم حياكة الخام، وشغل المشالح السود، والبيض، والزنانير المقلمات بأبيض وأحمر، وهناك أيضاً دكاكين لبيع السيوف، ودكاكين بياطرة، ودكاكين صناع حوائج الجمال وسروج الخيل من اللباد؛ لأنهم يصنعون اللباد في بلدهم كثيراً، وعندهم بساتين خارج البلد في الوادي، بها أنواع الفواكه، مثل: الموز، والتين، والرمان، والبلح، والليمون، والبطيخ الأصفر، والعجور، وجوز الهند.

3- جون لويس رينو بين عامي -1208 1210هـ/ -1793 1795م:

الدرعية مدينة صغيرة ولكنها مبنية بناءً جميلاً على الطراز العربي، وموقعها يجعلها مكاناً صحياً للمعيشة، ويوجد في جوارها العديد من التلال المزروعة زرعة جيدة، والمنطقة كلها تروى من نهر صغير، ويجد هنا بعض الفاكهة مثل العنب والتين وغيرهما، التي سمعت أن جميع السكان يأكلون منها قبل نضوجها، ويتسم (السعوديون) الذين يسكنون هذه المنطقة بالبساطة الشديدة، وهم في الوقت ذاته شعب مضياف للغاية، وتوجد بها أعداد كبيرة من الأغنام ومعظمها سوداء اللون، ولها صوف طويل وآذان طويلة وتنتج لحماً ممتازاً، والخيل هنا رخيصة بشكل معقول وهي أجمل خيول شبه الجزيرة العربية.

الإمام
محمد بن سعود
(مؤسس الدولة السعودية الأولى)

يعد الإمام محمد بن سعود شخصية تاريخية سعودية؛ باعتباره مؤسس دولة وكيان سياسي ومنشئ وحدة وطنية واجتماعية في منتصف الجزيرة العربية، جعل من الدرعية البذرة الأولى لمشروع الوحدة الوطنية، حيث كانت النواة الأساسية لمشروع دولة امتدت منذ القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، حتى شملت جميع مناطق وإمارات نجد التي كانت متناحرة، ثم شملت الدولة السعودية معظم أجزاء الجزيرة العربية.

ولادته:

ولد الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن فرحان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي في الدرعية عام 1090هـ/ 1679م، وقد نشأ وكبر في الدرعية، ثم بدأت تتشكل ملامح شخصية الإمام محمد بن سعود القيادية بعد تولي والده الإمارة في الدرعية عام 1132هـ/ 1720م؛ وقد شاركه في مهام هذه الإمارة، بصفته أكبر أبناء الأمير سعود، إذ كان في سن تؤهله لمساعدة والده في كثير من المهام الحربية والإدارية، ما أكسبه خبرة وتأهيلاً وقدرة في الأمور القيادية. كذلك في فترتي حكم زيد بن مرخان خاصة الثانية كان لمحمد بن سعود تأثير قوي في سير الأحداث في الدرعية بما يملكه من صفاته القيادية، وما يتحلى به من أخلاق حميدة، وما هو عليه من مكانة عالية بين آل مقرن، هذه الأمور ساهمت في إبراز شخصيته القيادية.

حياته الشخصية:

تزوج الإمام محمد بن سعود من موضي بنت سلطان أبو وهطان، وقد كانت زوجة الإمام محمد امرأة ذات عقل راجح ودين ومعرفة، ما أهلها أن تكون لها مكانة في الدرعية بعد تولي زوجها الإمارة فيها. وله من الأبناء: الأمير فيصل، والأمير سعود اللذان استشهدا أثناء حياته، والإمام عبدالعزيز، والأمير عبدالله، والأمير علي، والأمير مرخان، وله من البنات؛ الأميرة هيا، والأميرة طرفة.

صفاته الشخصية:

اشتهر بحسن سيرته، ووفائه، وحسن معاملته، سواء كان ذلك قبل توليه الحكم في الدرعية أو بعد توليه الحكم، وما قام به من تأييد لزيد بن مرخان حينما أراد مقرن بن محمد أن يقتله من أقوى الأدلة على وفائه، وإنصافه للمظلوم ورد الحق إلى نصابه، علماً أن مقرن بن محمد أقرب إليه من زيد بن مرخان فهو عمه، ولا شك أن قيامه بهذا العمل وهو لم يتولّ الإمارة بعد يدل على أصالة معدنه وعراقةُ خلقه الحسن، فلم يستغل هذا الخلاف بين الرجلين للحصول على الحكم، بل صمم على إعادة زيد للحكم مرة أخرى، ولم يتخلَ عنه إبّان إمارته بل سانده وعاضده، واشتراكه مع زيد في محاولة غزو العيينة دليل على دوره البارز في اتخاذ القرارات في الدرعية.

من أبرز صفاته الشخصية التي امتاز بها التدين؛ "فقد أكدت المصادر التاريخية أنه كثير الخيرات والعبادة،كما تمتع بالشجاعة ومن أقوى الأدلة على شجاعته وجسارته إقدامه على الانتقام من المعتدي على زيد برباطة جأش وقوة عزيمة، برزت في مواقف عديدة، ومن مظاهر شجاعته قيادته الجيوش في المراحل الأولى من معارك الدولة لتوحيد نجد؛ حيث استطاع أن يقود جيش الدولة في سلسلة انتصارات.

توليه الحكم

بويع الإمام محمد بن سعود أميراً على الدرعية عام 1139هـ/ 1727م؛ وهو تاريخ قيام وتأسيس الدولة السعودية الأولى، ومكث الإمام أربعين عاماً في الحكم، خاضت خلالها إمارة الدرعية كثيراً من الحروب مع إمارات هذا الإقليم، وقد كان نتيجة طبيعية لما وصلت إليه الإمارة من علو في الشأن، وتنافس على المستوى السياسي، وعلى الصعيد الأمني في الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الأولى؛ نجد أنها كانت مرتعاً للفتن والقلاقل، وذلك بسبب التفكك في جميع أجزاء الجزيرة العربية وتعدد الكيانات والإمارات في كل قُطرٍ من أقطار الجزيرة وعجزها عن حفظ الأمن، وإقامة العدل، وفرض النظام؛ ولذلك تواثبت القبائل بعضها على بعض وصارت كل قبيلة تغير على الأخرى فتقتل رجالها، وتأخذ أموالها من الأبل والماشية، واستمرت الغارات المتبادلة والثارات المتواصلة إلى أن جاء الإمام محمد بن سعود واستتب الأمن في عهده، وأمن طرق الحج والتجارة، ومنذ أن تولى إمارة الدرعية وأسس الدولة صار لأسلوب سياسته الأثر في الاستقرار الأمني والسياسي والاجتماعي، حيث أقر الأمن كركيزة أساسية لاستقرار المنطقة، حيث أمر ببناء أسوار الدرعية التي تصدت للهجمات الخارجية كالهجوم الذي حصل عام 1178هـ/ 1764م، كما أمر ببناء حي جديد في سمحان وهو حي الطرفية، وانتقل إليه مركز الحكم بعد أن كان حي غصيبة هو مركز الحكم لفترة طويلة من الوقت.

استمرت جهود الإمام في توطيد الأمن والاستقرار الاجتماعي وبناء وحدة وطنية من الصفر ابتدأت من نجد نحو أربعين عاماً، حتى تمكن الإمام محمد بن سعود بحنكته السياسية وقود إرادته أن يرسي قواعد الحكم والتأسيس، وجعل الدرعية عاصمة الأمن ومنبعاً للوحدة والاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ومنارة للعلم والثقافة والمعرفة على جميع الأصعدة، وقد كان ذلك نتيجة طبيعية لما وصلت إليه الإمارة في عهده من علو في الشأن، وزيادة في النفوذ، لقد ترك الإمام محمد بن سعود منهجاً سياسياً حكيماً تبعه ابنه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بعد أن تولى حكم الدرعية من بعد والده، وسار على نفس سياسته وحكمته وأسلوبه.

وفاته:

توفي الإمام محمد بن سعود – رحمه الله - بالدرعية في أواخر ربيع الأول عام 1179هـ الموافق سبتمبر عام 1765م.

أبرز إنجازات
الإمام محمد بن سعود

- توحيد الدرعية تحت حكمه والإسهام في نشر الاستقرار
- الاستقلال السياسي وعدم التبعية لأي نفوذ
- دعوة البلدات للانضمام إلى الدولة السعودية
- بناء حي الطرفية بجانب غصيبة
- تنظيم موارد الدولة
- بناء سور الدرعية للتصدي للهجمات الخارجية
- الاهتمام بالأمور الداخلية وتقوية مجتمع الدرعية
- توحيد معظم منطقة نجد
- التصدي لعدد من الحملات ضد الدولة
- الحرص على الاستقرار الإقليمي
- تأمين طرق الحج والتجارة

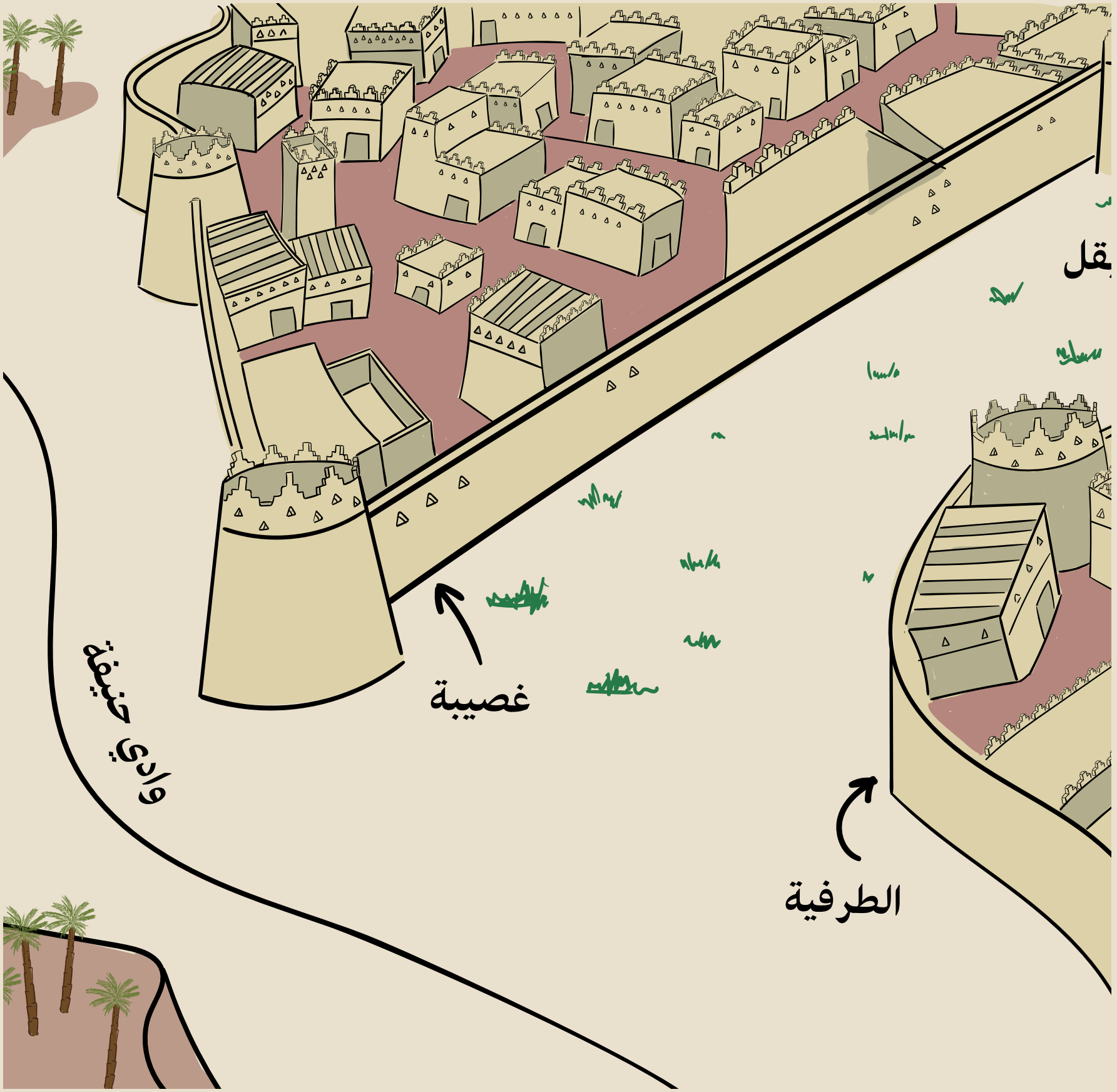

رسم تخيلي لجانب من الدرعية في عهد الإمام محمد بن سعود
(المصدر: دارة الملك عبدالعزيز)

أبرز الأحـداث التاريخية
للإمام محمد بن سعود

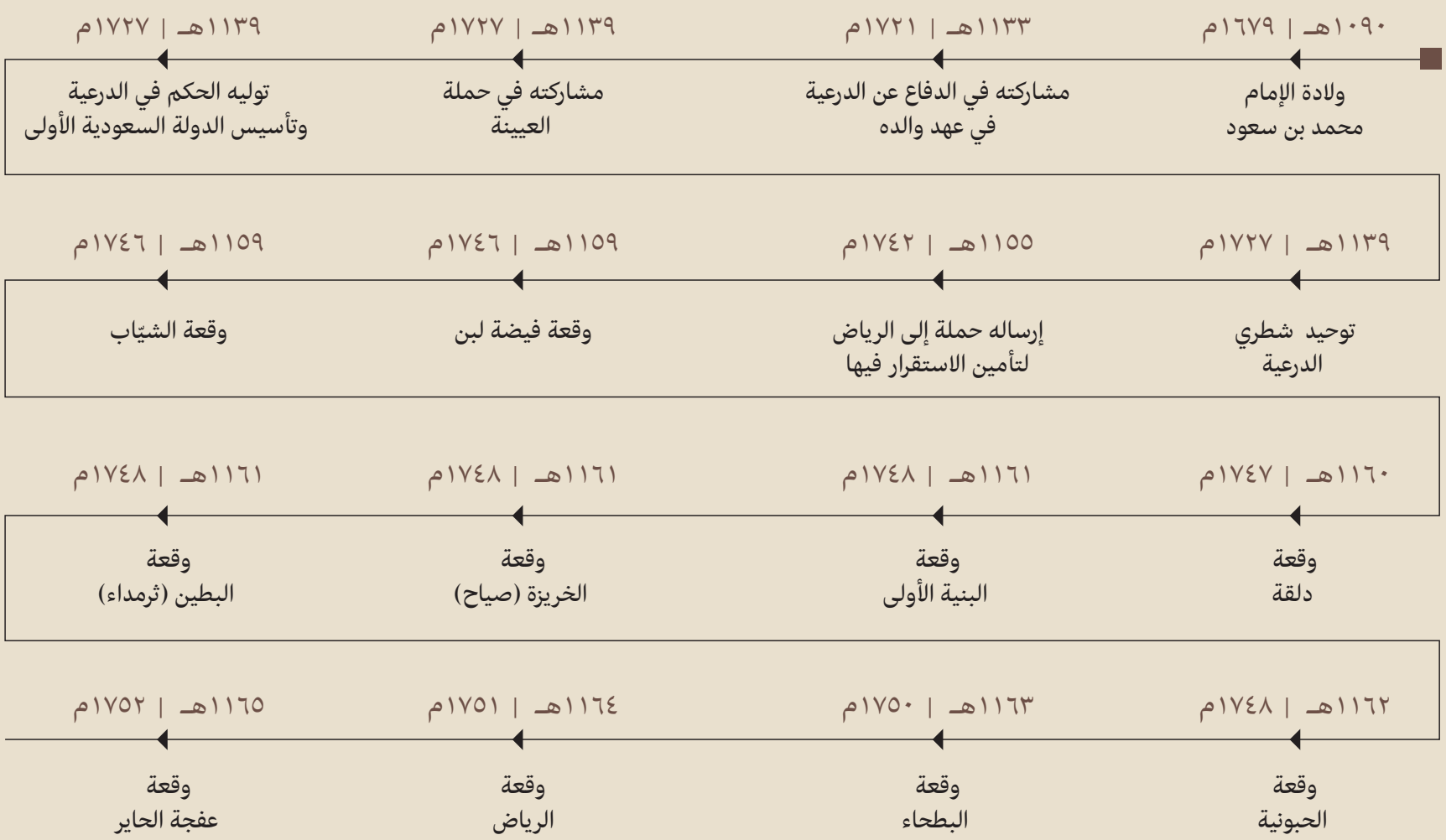

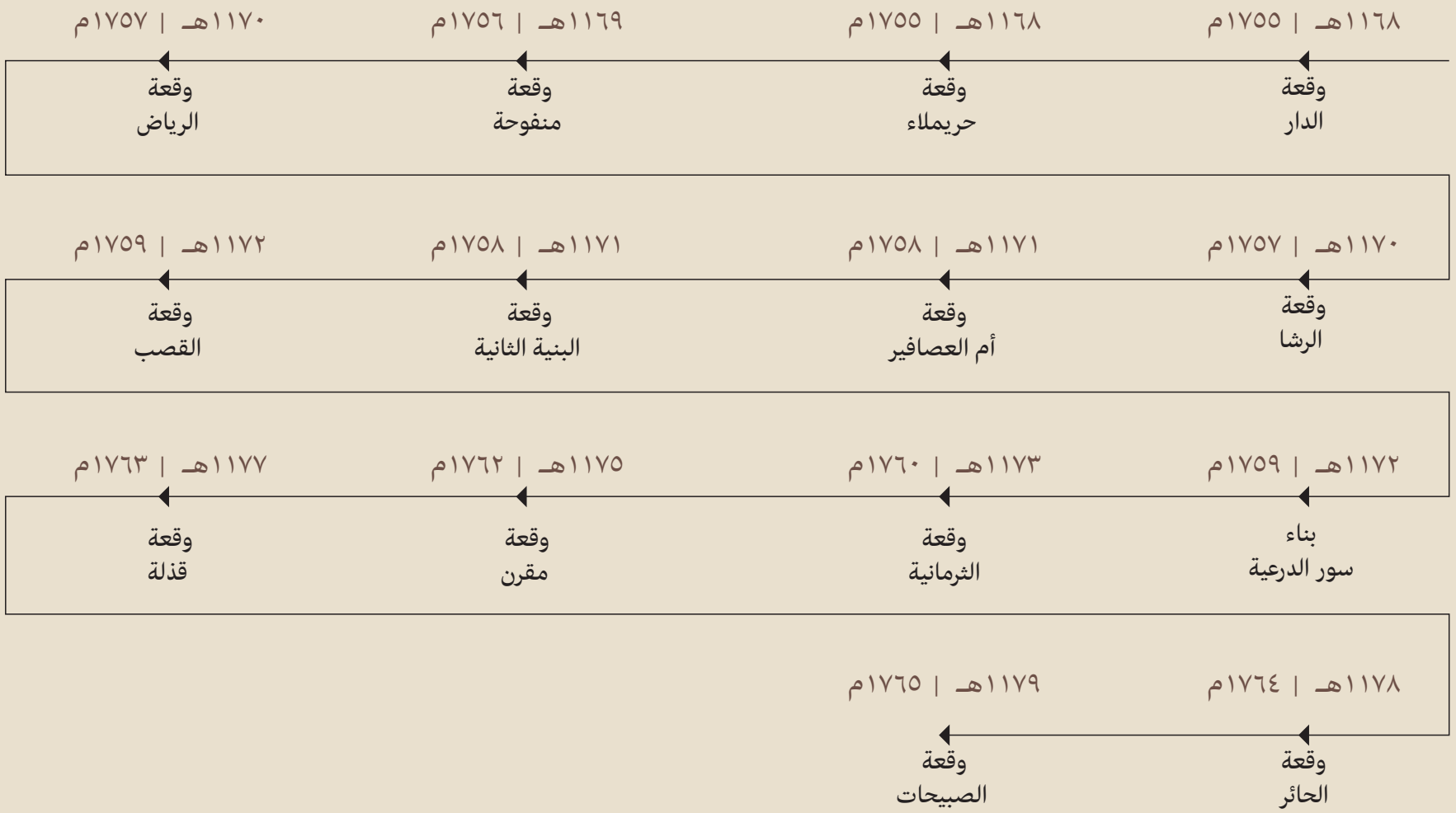
١١٦٨هـ | ١٧٥٥م
وقعة
الدار
١١٦٨هـ | ١٧٥٥م
وقعة
حريملاء
١١٦٩هـ | ١٧٥٦م
وقعة
منفوحة
١١٧٠هـ | ١٧٥٧م
وقعة
الرياض
١١٧٠هـ | ١٧٥٧م
وقعة
الرشا
١١٧١هـ | ١٧٥٨م
وقعة
أم العصافير
١١٧١هـ | ١٧٥٨م
وقعة
البنية الثانية
١١٧٢هـ | ١٧٥٩م
وقعة
القصب
١١٧٢هـ | ١٧٥٩م
بناء
سور الدرعية
١١٧٣هـ | ١٧٦٠م
وقعة
الثرمانية
١١٧٥هـ | ١٧٦٢م
وقعة
مقرن
١١٧٧هـ | ١٧٦٣م
وقعة
قذلة
١١٧٨هـ | ١٧٦٤م
وقعة
الحائر
١١٧٩هـ | ١٧٦٥م
وقعة
الصبيحات

الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود

الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود هو الإمام الثاني للدولة السعودية الأولى، وقد تولى الحكم بعد وفاة والده الإمام محمد بن سعود عام 1179هـ/ 1765م. ورث الإمام عبدالعزيز عن والده ملك دولة ناشئة مساحتها لا تتجاوز حدود المنطقة الوسطى من الدولة السعودية الأولى، وقد عمل على تثبيت الحكم فيها والسير على خطى ونهج والده الإمام محمد بن سعود في التوحيد والنهضة، وإكمال مسيرة التأسيس و التوحيد والبناء، وتوطيد وتثبيت دعائم الحكم في الدرعية، وبناء دولة سعودية وصلت في عهده أوج قوتها حضارياً وسياسياً وثقافياً.

وعند الحديث عن شخصية الإمام عبدالعزيز لابد من التطرق للتربية والنشأة التي نشأت عليها هذه الشخصية، لفهم الظروف التي كونت هذه الشخصية، ولد الإمام عبدالعزيز عام 1133هـ/ 1721م، ونشأ في بيت والده الإمام محمد بن سعود، وقد اهتم والده بتربيته وتنشئته نشأة علمية، حيث كان يحرص بنفسه على حضور جلسات العلم مع أبنائه، فالتعليم منذ الصغر يُسهم في تكوين شخصية المرء وهذا ما كان عليه الإمام عبدالعزيز، فتعلم القراءة والكتابة في الدرعية والعلوم الدينية، والتاريخ، واللغة العربية حتى صار في عداد العلماء، فنشأته في بيت علم وحكم كان لها أثرٌ كبيرٌ في شخصيته لاحقاً.

كما حرص والده الإمام محمد بن سعود على تنشئة ابنه نشأة قيادية، منذ أن كان إماماً وحاكماً في الدرعية، و حرص على وجوده في مجالس الإدارة والحكم، حتى اقتدى الإمام عبدالعزيز بوالده، فتكونت شخصيته القيادية بفضل قدراته الفذة ومما اكتسبه من والده ومن تلك المجالس التي أسهمت في تكوين شخصيته.

وجميع المواقف التي مرت به منذ النشأة، كوّنت شخصية الإمام القائد عبدالعزيز، فقد جمع في شخصيته الصفات القيادية والأخلاق السامية، ومن أبرز سماته الشخصية والقيادية هي الحُلم والحكمة والتواضع، والخُلق الكريم، بالإضافة إلى الإنسانية العظيمة التي يتصف بها؛ إذ كان رحيماً وعطوفاً على الفقراء والضعفاء والمحتاجين.

وقد اتصف الإمام عبدالعزيز بن محمد في أغلب تصرفاته القيادية بالحكمة، في جميع الأمور العامة والخاصة بالدولة، وتتضح حكمته في حرصه على أن يولي كل شخص في منصبه ومكانه الصحيح، فكان يعين على كل منطقة من مناطق الدولة السعودية الأولى أميراً منها؛ له سمعته ومكانته في المنطقة، وللإمام من هذا القائد الولاء والسمع والطاعة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك؛ أن وفد إلى الدرعية أحد شيوخ القبائل، الشيخ هادي بن غانم بن قرملة عام 1201هـ/ 1787م حيث قدّم السمع والولاء والطاعة للإمام عبدالعزيز، فجعله الإمام قائداً من قادة الجيوش لأنه رأى فيه الإخلاص وصدق الولاء، ولأنه يدرك مكانة هذا القائد بين أفراد قبيلته، كما عيّن الإمام عبدالعزيز عثمان بن عبدالرحمن المضايفي قائداً على الطائف وهو أحد أشهر القادة السعوديين في عصر الدولة السعودية الأولى، ومن هذا الأسلوب في القيادة وحسن الإدارة عمل الأئمة الآخرين من أئمة الدولة السعودية الأولى.

كما كان الإمام عبدالعزيز بن محمد عالماً متواضعاً للعلم والمعرفة ويحرص على مجالسة العلماء وحضورهم مجالسه، ويحضر بنفسه مجالس العلم على الرغم من انشغاله في القيادة والحكم، وقد كان يشجع على العلم في جميع الصور، فقد ذكرت لنا المصادر التاريخية أنه كان يحرص على تشجيع وتنشئة الأطفال في جميع مناطق الدولة السعودية الأولى تنشئة علمية وأخلاقية، كونهم أساس لَبِنَة المجتمع، وغداً سنراهم يكبرون ليكونوا رجالاً يسهممون في بناء وطنهم ورفعته، ومن أشهر أمثلة تشجيعه على العلم أن الصغار من الطلبة إذا خرجوا من عند المعلم، صعدوا إلى الإمام عبدالعزيز بألواحهم ليعرضوها عليه، فمن كان حَسَنَ الخط أعطاه مكافأة قيّمة وعطاء جزيلاً، أما البقية فكان يعطيهم أقل منه، وهذا من باب التنافس بين الطلبة والتشجيع على العلم، لذلك نرى من سكان الدرعية من كان حسن الخط فظهرت المخطوطات ذات الخط الحسن، وهذا يعود لأن القادة والأئمة أنفسهم كانوا يشجعون على ذلك.

كما خصص الإمام عبدالعزيز من ميزانية الدولة ميزانية خاصة بالمعلمين والعلماء بحيث يتقاضون أجراً مقابل تعليمهم الناس، فأمر بأن تصرف لهم رواتب شهرية على مهنة التعليم، كما خصص للبالغين جوائز معنوية من مال وكسوة، ولم يكن هذا الأمر مقتصراً فقط على العاصمة الدرعية بل أمر جميع أمراء وقادة المناطق الواقعة تحت حكم الدولة السعودية بأن يحرصوا على تشجيع الطلبة وكل من يرغب بالعلم والتعلم من أهل المدن والقرى وأهل البادية، وأن يتم دعمهم مادياً ومعنوياً، وبالفعل نظراً لهذا الاهتمام في العلم والتعليم انتشر التعليم وشمل جميع مناطق الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام عبدالعزيز، وبجانب هذه الجهود التعليمية العظيمة في دعم العلم، كان للإمام عبدالعزيز بن محمد إسهامات كبيرة في حركة التأليف والكتابة والمخطوطات، حيث كانت المكتبات في الدرعية تزخر بالكتب والمخطوطات والمؤلفات.

ويمكن القول إن عصر الإمام عبدالعزيز بن محمد كان العصر الذهبي للعلم والتعليم في الدولة السعودية الأولى، وهذا إن دل على أمر ما فهو يدل على إدراك الإمام عبدالعزيز بن محمد لأهمية العلم، وأنه أساس نهضة الأمم.

وقد كان الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود يكره الظلم ويحذّر منه وكان شديداً حازماً فيما يخص تطبيق العدل في كل ما يخص الرعية والشعب؛ ومن صور ذلك أنه كان بنفسه يقوم بتعيين واختيار القضاة وتوزيعهم على جميع مناطق الدولة السعودية وكان ذلك وفق ما يراه من الكفاءة العلمية والنزاهة الخُلقية، كما خصص لهم رواتب ومكافآت مجزية من ميزانية الدولة لمنعهم من أخذ أجرٍ من المتخاصمين أثناء الفصل في الخصومات، ما ساعد على تطبيق العدل فعلاً، وقد أمر بتعميم هذا الموضوع في جميع مناطق الدولة السعودية الأولى.

قاد الإمام عبدالعزيز جيوش توحيد وتأسيس الدولة السعودية الأولى، وكانت طريقته الحربية في قيادة الحروب طريقة فريدة من نوعها، إذ استحدث أساليب وأنماطاً حربية جديدة، وفقاً لما كان يراه من استراتيجيات القتال، ومن ذلك أنه كان إذا استعصى عليه توحيد إحدى مناطق الدولة السعودية الأولى وطالت مدة الحرب، قام ببناء حصن وقصر بجوار المدينة مشابه للقلعة، بحيث يقيم فيه أتباعه ويكون كقلعة للمراقبة، ومن أمثلة ذلك إشرافه على بناء "قلعة الغذوانة" بالقرب من الرياض.

توفي الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، الإمام القريب من شعبه والمخلص لوطنه، عام 1218هـ/ 1803م عندما طعن غدراً في مسجد الطريف في أثناء سجوده لتأديته صلاة العصر، وقد كان يبلغ من العمر نحو خمسة وثمانين عاماً، قضى أغلبها في خدمة وطنه وتوحيد أركان الدولة السعودية الأولى، رحمه الله تعالى.

الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود

الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولد في مدينة الدرعية عام 1161هـ/ 1748م، تولى حكم الدولة السعودية الأولى عام 1218هـ/ 1803م، ويعتبر الإمام الثالث للدولة السعودية الأولى، واستمر حكمه لمدة 11 سنة، حتى عام 1229هـ/ 1814م.

كان قائد الجيش على عهد أبيه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وتعلم على يد العديد من علماء ومشايخ الدرعية، درس العلوم الدينية، وكانت له المعرفة التامة في تفسير القرآن، واللغة العربية، وقد كان يلازم مجالس الدروس العلمية، وتظهر بلاغته وعلمه في مراسلاته، ونصائحه، وإذا تكلم في المحافل والمجالس، حتى أن كل من يجالسه كان يعجب بشخصيته وكلامه وأسلوبه في الحوار والحديث، ويبهر بعقله وهيبته كل من يحضر مجالسه.

بويع الإمام سعود بن عبد العزيز للحكم بعد استشهاد أبيه عبد العزيز بن محمد – رحمه الله – عام 1218هـ/ 1803م.

كان ذا رأي باهر وعقل وافر، وكان سياسياً محنكاً وحكيماً في جميع شؤونه لا يستأثر برأيه فإذا أراد إنفاذ رأي أرسل إلى قادته من رؤساء المناطق واستشارهم، فإذا أخذ رأيهم وخرجوا من عنده أرسل إلى مستشاريه من أهل الدرعية ثم أخذ رأيهم، فإذا خرجوا أرسل إلى العلماء من أهل الدرعية واستشارهم، فقد كان يستفيد من خبراتهم ويشاورهم في أمور الحكم، من منطلق مبدأ الشورى.

كان الإمام سعود شجاعاً في الحروب في صغره وكبره، إذ أنه لم يتخلف في جميع المعارك، وكان يقود الجيوش السعودية بنفسه، ويحرص على وجود العلماء في المعارك.

كما أنه كان يعهد بالحكم لابنه عبد الله أثناء خوضه معارك توحيد الدولة، وقد كان لهذا الأسلوب في القيادة أن تأهل ابنه عبدالله للحكم من بعده، وتعلم وخاض التجارب بنفسه.

كان قائداً حربياً شجاعاً وذا استراتيجية حربية قوية، ويظهر ذلك من خلال أعماله الحربية؛ حيث اتسعت في عهده المناطق

الواقعة تحت حكم الدولة السعودية الأولى، فشهد عهده عظمة البلاد وامتداد حكمه من البحر الأحمر إلى الخليج العربي.

كان الإمام سعود بن عبد العزيز حريصاً على حضور الدروس العلمية بنفسه، وذلك حباً في العلم وطلباً للمعرفة، فهو الإمام القائد الفصيح الذي يبهر كل من يحضر مجالسه ويستمع إليه. وقد كان له عادةً لم يغيرها أثناء توليه الحكم؛ وهي الجلوس أمام عدد ممن يرغب في العلم خارج قصره بالدرعية، وبعد انتهائه من مجلس العلم، يلتفت إلى شؤون شعبه، وبعد صلاة الظهر كان له مجلس للدرس يحضره أكثر رجال أسرته، وبعد انتهاء مجلس العلم تُقدّم إليه طلبات الرعية وشكاويهم، وبعد صلاة المغرب كان له مجلس علم قصير، وكان يؤدي الصلوات الخمس في مسجد القصر إلا يوم الجمعة فكان يصليها في جامع الطريف.

حج الإمام سعود تسع حجات؛ حجتان أثناء حكم والده الإمام عبدالعزيز، وسبع حجات أثناء فترة حكمه، وخلال حكمه كان يأمر للكعبة المشرفة بكسوة من أحسن الأقمشة الحريرية السوداء، وكساها مرة بقزٍ أحمر عام 1221هـ/1806م، ثم كساها بعد ذلك بالديباج الأسود والقيلان الأسود، وجعل إيزار الكسوة وستارة باب الكعبة من الحرير الطبيعي الأحمر المطرز بالذهب والفضة، وكان كثير الصدقات واسع العطايا.

يعد الإمام سعود بن عبد العزيز من أعظم أئمة الدولة السعودية الأولى، وأقوى قادتها، كان عهده مليئاً بالإنجازات والتحديات في سبيل توحيد جميع مناطق الدولة السعودية الأولى ونشر الأمن والأمان، كما تميزت شخصيته بالصرامة وسداد الرأي خاصة في الأمور العسكرية، والإدارية، ووفائه مع شعبه، واستبساله في الدفاع عنهم وعن وطنه، فاستطاع بأبناء الوطن، وهم جيوشه وفرسانه تحقيق نصر كبير ضد القوات العثمانية المعتدية في الشهر الذي توفي فيه - رحمه الله - عام 1229هـ/ 1814م.

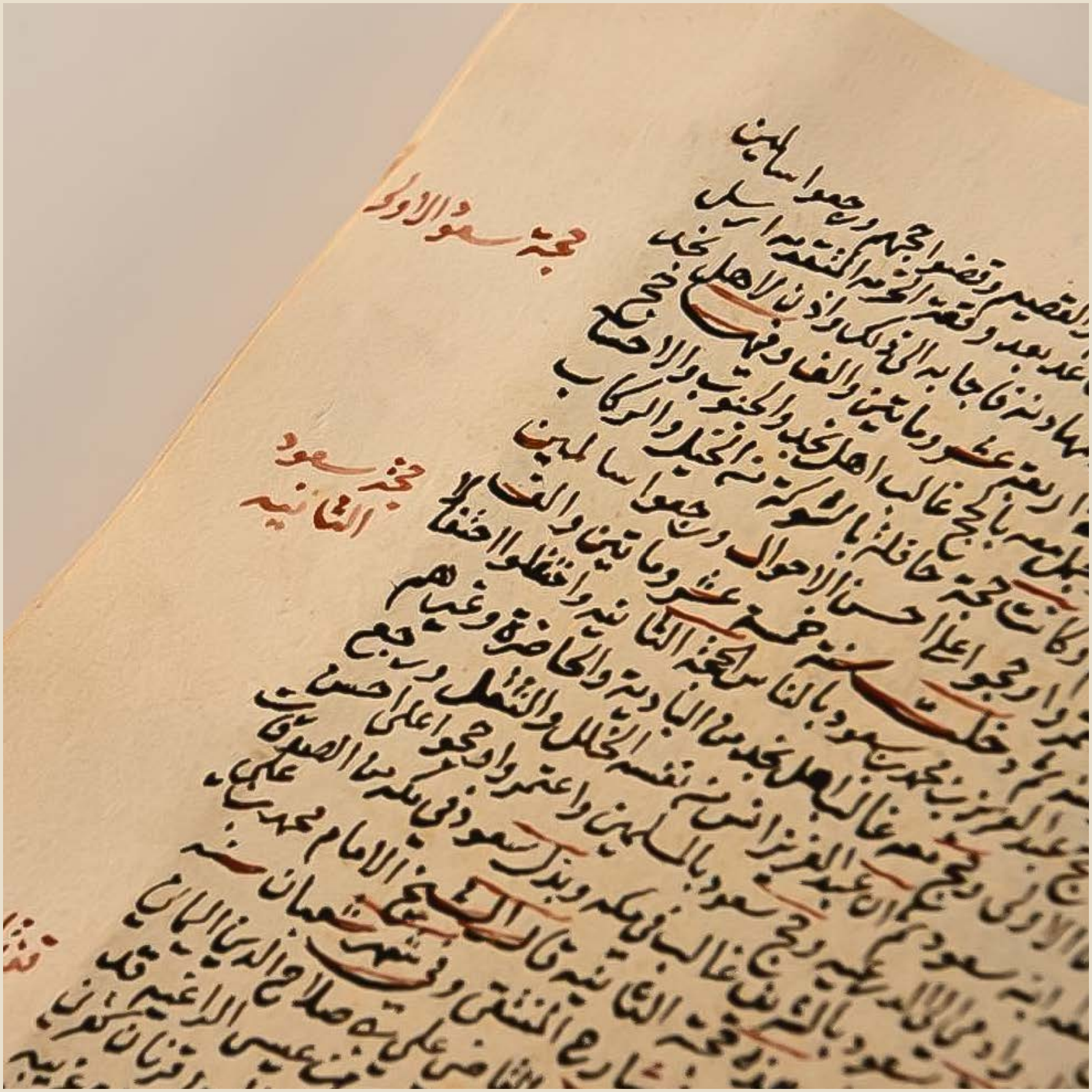

مخطوطة لابن بشر صاحب كتاب " عنوان المجد في تاريخ نجد " . وثق المواسم التي قاد فيها الإمام سعود ابن عبدالعزيز للحج

الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود

الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، آخر أئمة الدولة السعودية الأولى، ولد في الدرعية عام 1185هـ/ 1772م اشتهر بالشجاعة والإقدام، ويُحكى عنه بأنه فارس منذ الصغر؛ حيث استطاع ترويض فرسه وركوبها، وعندما كبر تعلم على يد الكثير من العلماء حتى أصبح من أشهر علماء عصره وأفقههم .
كان أحد أبرز رجال الدولة في عهد والده الإمام سعود بن عبدالعزيز، حيث كان يعتمد عليه في العديد من أمور الحكم، وكان يعهد إليه بقيادة جيوش الدولة السعودية في مختلف الحملات العسكرية أثناء توحيد بقية مناطق الدولة السعودية الأولى، كما كان مستشاره وساعدهُ الأيمن، فقد حرص الإمام سعود بن عبدالعزيز على استشارته في الكثير من الأمور العسكرية والسياسية؛ ليؤهلهُ للحكم من بعده. وقد اشتهر بين أبناء الدرعية والأمراء الآخرين بشجاعة لا مثيل لها.
أما عن قدراته الشخصية فقد اتسم بالتميز والإتقان، وعُرف بأنه رجل ذو حكمة وتعقل، كما كان كريماً وطيباً إلى جانب شجاعته وشهامته، كما حرص والده الإمام سعود على أن يرث منه هذه الصفات ، فيقول عنه ابن بشر" كان صالح التدبير في معاركه ثبتاً في مواطن اللقاء باذل العطاء موقراً للعلماء، وكانت سيرته في معاركه وفي الدرعية وفي مجالس الدروس وفي قضائه لحوائج الناس، على سيرة أبيه سعود" .
وقد اتفق مؤرخو تلك الفترة على وصف الإمام عبدالله بن سعود على أنه يملك أسلوباً بليغاً يعكس بيئته الثقافية والعلمية، فقال عنه الرحالة السويسري بوركهارت: "في حوزتي الآن عدد من رسائل عبدالله الأصلية، وأكثرها توضح صراحة وشجاعة اللغة التي امتاز بها دائماً، وكلها مكتوبة بإملاء مباشر منه معبّرة عن المشاعر الصادقة التي يحس بها في تلك اللحظة" .

وكان خطيباً متميزاً في بث روح الحماسة بين أفراد الجيوش السعودية، تلك الخطب قد زادت من إصرار السعوديين ورفعت من ثقتهم في أنفسهم في مواقف عديدة، ومنها خطابه التاريخي مع جنوده وشعبه في خضّم معاركه مع قوات الدولة العثمانية المعتدية عام 1231هـ/ 1816م ، حيثُ تضمن خطابه العديد من الكلمات التحفيزية والتشجيعية، وإصراره على محاربة العثمانيين المعتدين، والحفاظ على وطنهم ودينهم وشعبهم؛ فأثار خطابه حماس القوات السعودية، فكانت ردة الفعل القوية من السعوديين أن استبسلوا في القتال دفاعاً عن وطنهم وشرفهم وأموالهم وأرضهم.

شارك الإمام عبدالله في ملحمة توحيد الأجزاء الشمالية من البلاد، وأدار العديد من المعارك العسكرية التي وضع لها مخططات محكمة بفضل الله ضمنت النصر للجيش السعودي في معارك عديدة، وبرز دوره العسكري في جميع معارك التوحيد، وكما كان له دور بطولي في ردع الجيوش العثمانية المعتدية وهزيمتها في معركة وادي الصفراء عام 1226هـ/ 1811م، ويقول المؤرخ الفرنسي مانجان عن قوة الجيش السعودي: كان الإمام عبدالله قائداً لأمة من الشجعان.

وقد عُرف عن الإمام عبدالله في التاريخ الحديث بأنه قد لقن الجنود العثمانية المعتدية درساً قاسياً، حتى فر الجيش العثماني بمن معهم من الضباط والأطباء والمهندسين الأجانب خوفاً من قوة الجيش السعودي الذي كان تحت قيادته.

تولى الإمام عبدالله الحكم بعد وفاة والده الإمام سعود بن عبدالعزيز عام 1229هـ/ 1814م، وقد بُويع بالحكم في الوقت الذي كان يقود فيه معارك الدولة ضد القوات العثمانية المعتدية، وواصل الإمام حربه معهم طيلة فترة حكمه الممتدة لأربعة أعوام ونصف ، واستطاع من خلالها الثبات بعزيمة وإصرار.

وبالرغم من أن عهد الإمام عبدالله بن سعود كان مليئاً بالمعارك التي منعته من التفرغ للاهتمام بالجوانب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد، إلا أن الحركة الثقافية والاقتصادية لم تتوقف في المجتمع السعودي بمجرد انشغال الإمام عبدالله بمعارك الدولة ضد القوات العثمانية المعتدية ، بل بقيت جذورها متوقدة ومزدهرة حتى نهاية حكمه في عام 1233هـ/ 1818م .

قُتل الإمام البطل رحمه الله عام 1234هـ/ 1818م بعدما افتدى بروحه شعبه ووطنه، وترك للتاريخ السعودي سيرة بطل شجاع وقائد مغوار يتداولها الأجيال .

المجتمع

كانت منطقة وسط الجزيرة العربية من أقل مناطق الجزيرة العربية تأثراً من حيث اختلاط العناصر الأخرى بالسكان المحليين؛ لأنها بعيدة نسبيّاً عن مواطن الامتزاج السكاني، ولأنها منعزلة في وسط الجزيرة العربية. ولهذا فإن الأغلبية العظمى من أهلها كانت تنتمي إلى قبائل وأسر عربية أصيلة. وكانت النظرة الاجتماعية لدى سكانها بصفة عامة نظرة تتسم بالانتماء للمكان والقبيلة والأسرة، وخصوصاً في بعض الأمور كالزواج ومزاولة بعض الأعمال والحرف.

أما من حيث طريقة المعيشة، فإن مجتمع وسط الجزيرة العربية كان منقسماً إلى قسمين: الحاضرة، وهم سكان البلدات والقرى، والبادية وهم القاطنون في الصحراء ويتنقلون بناء على توافر الماء والعشب والكلأ.

وفد إلى مجتمع الدرعية خلال فترة الدولة السعودية الأولى كثير من الذين أصبحوا جزءاً من الدولة السعودية الأولى، سواء كانوا من التجار أو من طلبة العلم أو من غيرهم. وكان هؤلاء الوافدون من طبقات مختلفة، ومع مرور الوقت ازداد عدد سكان الدرعية ازدياداً كبيراً، وتوسعت رقعة مساحتها، وأصبحت مقصد طلاب العلم، وقبلة أرباب التجارة، وموئل الباحثين عن الرزق.

رسمة ليوليوس أويتنج

العلاقة بين الأئمة والمجتمع:

تنمو العلاقة بين الحاكم والمواطنين بمرور الأيام والأعوام لترسخ مفهوم العلاقة المتلاحمة بين القيادة والمجتمع تكشفها المواقف والأحداث، وفي مجتمع الدرعية أكدت السمات الفذّة التي كان يتمتع بها أئمة الدولة السعودية الأولى على مختلف الأصعدة القيادية والسياسية والثقافية والإنسانية، فقد كانوا متصفين بصفات العرب النبيلة التي صقلها الإسلام، كالكرم، والمروءة، والشجاعة، والوفاء، والحلم، والعدل، كل تلك الصفات شجعت على قيام دولة عظيمة تشعّ نوراً وحضارة وثقلاً اجتماعياً هائلاً تتطلع إليه النفوس الظامئة فكرياً، واقتصادياً، وحضارياً.

ففي مجتمع الدولة السعودية الأولى وحتى اليوم كان الحاكم أو الإمام قريباً من مواطنيه يعيش بينهم وهم يعيشون معه، فكان مجلسه مفتوحاً دائماً لاستقبال المواطنين والنظر إلى شكواهم وحاجاتهم، كان الأئمة كثيري العطاء والصدقات، وكثيري العناية والاهتمام بأهل العلم ومعلمي القرآن الكريم، والمؤذنين، وأئمة المساجد، ومن صور ذلك أنهم كانوا يرسلون القهوة لأهل القيام في رمضان، وإذا دخل رمضان يستقبلون المحتاجين من الأهالي في الدرعية، فكان الإمام كل ليلة يقدم لهم الإفطار في قصره، ويكرم كل رجل منهم بمبلغ من المال، وكان إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان يعطي كل محتاج عباءة ومحرمة، فهو بذلك قد كساهم وأمّن لهم طعامهم قبل دخول العيد، كما كان الإمام يكافئ الأطفال بالهدايا والأموال على حسن تعليمهم وجودة خطهم.

وكان الإمام يقرأ بنفسه المكاتيب التي تصل إليه من مختلف المناطق، ويردّ عليها كما يجب، وإذ استشكل عليه أمرٌ يستشير فيه أصحاب الرأي السديد، ومن ثم يصدر أوامره ويرد بها، وهذا الذي جعل المواطن في الدولة السعودية الأولى يثق بحاكمه تمام الثقة، فكان الفرد ينام قرير العينين وهو يعلم بأنه على أرض آمنة حقه لن يُسلب وكل ما أخذ منه ظلماً سيعود بإذن الله.

وتسرد لنا المصادر المعاصرة أقوالاً كثيرة تدل على حقيقة استتباب الأمن والأمان في مناطق الدولة السعودية الأولى بفضل قرب الإمام من شعبه، وتقول:
"إن الشخص الواحد كان يسافر بمفرده بالأموال الكثيرة في أي وقت شاء وإلى أي وجهة أراد دون أن يخشى أحداً إلا الله. ويعود انتشار الأمن والأمان في المناطق السعودية آنذاك ولازالت إلى عدل الحاكم وصرامته وصفاته المعتدلة في جميع نواحي الحياة، والتي أدت بلا شك إلى تحقيق التلاحم والتكافل بين أفراد المجتمع، وقد ظهرت آثار التكافل والتلاحم الاجتماعي عندما توهجت مدينة الدرعية وما حولها اقتصادياً وتجارياً وعلمياً".

وعن طبيعة العلاقة بين الإمام السعودي وشعبه، يقول ابن بشر عن ثالث حكام الدولة السعودية الأولى الإمام سعود بن عبدالعزيز:

"قام إليه أهل الحوائج من أهل الشكايات من البوادي وغيرهم، وكان كاتبه عن يساره، فهذا قاض له حاجته، وهذا كاتب لـــه شكايته، وهذا دافعه وخصمه إلى الشرع، فيجلس في مكانه ذلك نحو ساعتين حتى ينقضي أكثرهم، ثم ينهض قائماً ويدخل القصر، ويجلس في مجلسه في المقصورة، ويصعد إليه كاتبه ويكتب جوابات تلك الكتب التي رُفعت إليه في ذلك المجلس إلى العصر، وينهض للصلاة".

ويقول الرحالة السويسري جون بوركهارت واصفاً قرب الإمام سعود بن عبدالعزيز من المواطنين:
"كان الناس عندما يخاطبونه لا يستعملون ألقاباً رنانة، وإنما كانوا ينادونه "يا سعود" أو "يا أبو عبدالله"، وكان سعود ينادي كل واحد باسمه.

أما عن كرم أئمة الدولة السعودية الأول فتحكي لنا المصادر إن الإمام سعود بن عبدالعزيز كان يخرج لضيوفه كل يوم خمسمئة صاع من البر والأرز، وكان المضايفي الذي أُعطيت إليه مهمة العناية بالضيوف يدعوهم للعشاء من بعد الظهر إلى ما بعد العشاء الآخرة، وأما الغداء فقد كان من طلوع الشمس إلى اشتداد النهار، وإضافة إلى هذا كله كان الضيف يحصل على المال من الإمام، أما الأطباق الرئيسة التي كانت تُقدم للضيوف، فهي من الأرز ولحم الضأن والجريش والتمر.

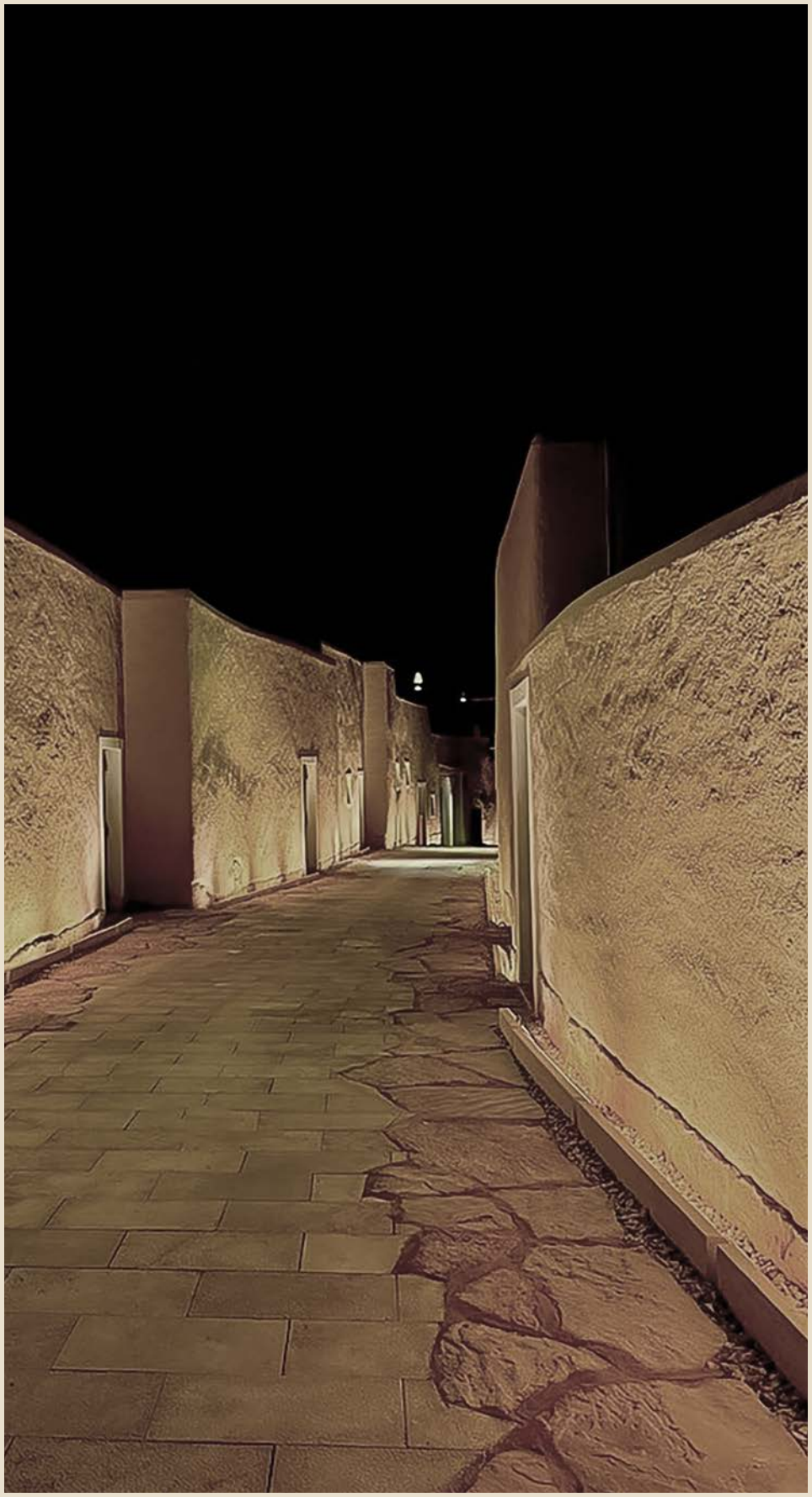

الحياة العلمية:

العلم يبني المجتمعات ويجعلها قوية ومتماسكة، وهو جزء من الحضارة الفكرية لأي مجتمع، فيُعرف الفرد القوي والمثقف من مكانة العلم في مجتمعه، حيثُ تُـــمثل الأرض التي ترعرع عليها المركز العلمي المشع لكافة النفوس الراغبة للتعلم، لذلك حرص الأئمة السعوديون على الاهتمام بالعلم والتعليم ودعمه على كافة الأصعدة، فكان الإمام في الدولة السعودية الأولى لا ينقطع عن مجالس العلم في حله وترحاله، حتى أصبحت الدرعية منارة علمية يقصدها الناس من داخل الجزيرة العربية وخارجها.

ومن شدة حرص أئمة الدولة السعودية الأولى على أن يستفيد الجميع من مجالس العلم، كانت تُقام الدروس الأساسية ثلاث مرات في اليوم وأكثر، أولها عند شروق الشمس في (الباطن) الموضع المعروف في سوق الموسم، ففي وقت الشتاء اعتاد الناس على الجلوس عند الدكاكين الغربية للاستماع للدروس، أما في وقت الصيف يكون الدرس عند الدكاكين الشرقية، وفي صدر المجلس يجلس الإمام سعود بن عبدالعزيز وبنيه وإخوانه، ويبدأ التدارس بين الإمام والحضور، وكان انعقاد الدروس في السوق يجذب للجلوس والاستفادة من الثقافة الملقاة.

وعندما يفرغ الإمام من الدرس يدخل إلى قصره ويجلس في مجلسه القريب من الناس، ويستقبل طلباتهم وينظر إلى حوائجهم وعند اشتداد النهار يأتي وقت القيلولة ويدخل الإمام إلى بيته، وبعد صلاة الظهر يبدأ الدرس الثاني حيثُ يأتي الناس إلى درس المساء في قصره ولذلك وضع الإمام مجالسه من ثلاثة طوابق كل مجلس فوق الآخر في موضع بين الباب الخارج والباب الداخل على نحو من خمسين سارية، فمن أراد أن يجلس في أي طابق اتسع له ذلك، ثم يأتي إخوته وأبناؤه وعمه وبنو خواصه على عادتهم للدرس ويجلسون بين الناس، أما العالم الذي يجلس ليدارسهم هو إمام مسجد الطُّريف عبدالله بن حماد، وفي بعض الأحيان يدير الدرس القاضي عبدالرحمن بن خميس إمام مسجد القصر، فيقرأ الاثنان في تفسير ابن كثير ورياض الصالحين، فإذا فرغا من الكلام يأتي الإمام سعود ويشرح ما تم تداوله.

أما الدرس الثالث فقد كان يبدأ من بعد صلاة المغرب حيثُ يجتمع الناس فوق سطح مسجد القصر المذكور، ويأتي الإمام للجلوس بين الناس، فإذا جلس يبدأ القارئ بقراءة صحيح البخاري. وعن الصلوات المكتوبة فقد كان الإمام يصليها في مسجد قصره ويصلي معه فئة من الناس، بخلاف يوم الجمعة فإنه يصلي مع الناس في مسجد الطُّريف وهو المسجد الجامع في المنطقة.

لم يكن اهتمام الأئمة السعوديين بالعلم وحث الناس على التعلم يقف عند حد الدروس اليومية، بل إن الإمام كان يحرص على دعم العلماء وطلبة العلم بالمال وبكل السبل الممكـنــة التــي تشجعهم على التعلم وعلى نشر العلم، وعلى سبيل المثال كان الإمام عبدالعزيز بن محمد يرسل قسماً خاصاً من المال إلى طلبة العلم وحملة القرآن والمعلمين والأئمة والمؤذنين في جميع المناطق، وبسبب عطاء الأئمة الجزل وحرصهم على العلم.

إن ازدهار الحركة العلمية في العاصمة الدرعية واستقبالها للطلاب الوافدين من الخارج قد أسهم في انتشار مهنة النساخين وزيادة عدد المكتبات الخاصة والعامة، حيثُ احتوت مكتبات الدولة السعودية الأولى على بعض المخطوطات النادرة من مختلف المناطق، فكانت هناك مدرسة خاصة للخط والنسخ برز فيها عدد من النساخين والخطاطين الذين تميزت خطوطهم بالجمال وذات أسلوب خاص، وكان من ضمنهم الوافدون الذين قدموا من مختلف المناطق للانضمام لتلك المدارس، وللنساخ في مجتمع الدرعية مكانة مهمة تماثل مكانة الناشرين في عصرنا الحديث، وكان النسخ يُعد مهنة يتوارثها الأبناء، ومن أشهر نُسّاخ الدرعية الشيخ عبدالرحمن الوهيبي.

انطباعات الرحالة عن الدولة السعودية الأولى:

زار أراضي الدولة السعودية الأولى رحالة ومستشرقون غربيون، نقلوا مشاهدات عن الدولة السعودية، ووثقوها في كتب ومذكرات بينت لنا صوراً متعددة عن الحياة الاجتماعية ومجتمع الدولة السعودية، وعن عاداتهم وتقاليدهم، وعن علومهم وثقافتهم التي يعتزون بها، وعن عادات الكرم والضيافة التي شاهدوها.

كما تحدثوا عن أساليب البناء والعمارة وعن الأسواق والمدن التي زاروها، وتطرق بعض الرحالة إلى وصف علاقة الإنسان السعودي بالحيوانات المستئنسة، مثل: الإبل والخيل وغيرها التي يعتبرها مؤنسته في الصحراء، فكان وصفهم أدق وأشمل وصف وصل إلينا.

كما تميزت كتابات الرحالة الغربيين بالرؤية الثاقبة للكثير من أحوال المجتمع، وذلك بحكم ما كان يمتلك المجتمع السعودي من عادات وتقاليد كانت بالنسبة إلى الغربيين لافتة للنظر وجالبة للدهشة، لذا حرصوا على توثيق مذكراتهم ومشاهداتهم.

كارستن نيبور:

الذي زار الجزيرة العربية، ومرَّ بأراضيها عام (1177هـ/ 1763- 1764م)، ويعد من أبرز الرحالة الذين تركوا إرثاً علمياً عن الجزيرة العربية، فتحدث عن الحياة الجغرافية وطبيعتها، وقد قدّم وصفاً قلَّ ما نجده في الكتب والمؤلفات العلمية الأخرى، بل إن الرحالة الذين قدموا من بعده إلى الدولة السعودية اعتمدوا على ما كتبه ودوّنه.

وعلى سبيل المثال تحدث "نيبور" عن التجارة في جدة، واصفاً مدى ازدهارها؛ كون مدينة جدة تعتبر ميناء البضائع القادمة من السفن المحملة من السويس والهند عن طريق البحر، كما وصفها بأنها محطة عبور للقوافل الكبيرة المحملة بالبضائع، ومحطة تصدير أهم مورد من الموارد المحلية، وهو لوز الطائف الذي يحرص الإنجليز على استيراده، وتستورد جدة حبوب الحنطة، والأرز، والعدس والسكر، والعسل، والزيت وغيرها من مصر".

لويس ألكسندر دو كورانسيه:

كَتب عن الدولة السعودية أثناء تواجده في المناطق الشمالية من الجزيرة العربية، ونشر كتابه عام 1224هـ/ 1809م، حيث وصف الدرعية قائلاً إنها مدينة صغيرة مبنية من الحجر والطين، وهي في سفح جبل عالٍ، يمتد من الشمال إلى الجنوب يسمى طويق، ويفصل المدينة وادي حنيفة الذي يفيض شتاءً نتيجة لوفرة المياه فيه وكثرة الأمطار، ويوجد بالمدينة حيين رئيسيين، الأول يقع في الجهة الشمالية ويسمى الطريف وهو أشهر الأحياء الموجودة في الدرعية وهو مقر الأسرة الحاكمة وبه قصر الحكم؛ وهو قصر سلوى، والحي الآخر يقع في الناحية الجنوبية ويسمى البجيري، وبه العديد من المساجد والمدارس، ويوجد بالدرعية السوق الرئيسي، ويضم جميع الأسواق وبه انتعشت حركة التجارة.

وتزدهر الدرعية بحدائقها الغنية بالأشجار المثمرة وفيها النخيل، والتمر، والمشمش، والخوخ، والبطيخ الأحمر، وحقول القمح، والشعير، والدخن.

جون لويس رينو

زار أراضي الدولة السعودية الأولى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى، وسجل مشاهداته عن السعوديين والحياة الاجتماعية، فيذكر أن أهم سمة من سمات المجتمع السعودي آنذاك البساطة الشديدة في حياتهم، كما وصف رينو الشعب السعودي بأنه مضياف للغاية، حيث يطغى الكرم والضيافة على الجميع، كما يذكر أن الخيل السعودية في الدرعية هي أجمل خيول الجزيرة العربية، ويوليها السعوديون مكانة كبيرة من ناحية الاهتمام والحرص على تغذيتها ورعايتها.

دومينجو باديا (الذي لقب نفسه علي باي العباسي):

زار مناطق الدولة السعودية الأولى عام 1222هـ/1807م وكتب عنها، وعن تاريخ وجغرافية وثقافة ومجتمع الدولة السعودية، كما أشار إلى شجاعتهم وبسالتهم في الدفاع عن أرضهم ووطنهم ويشير إلى أن النصر دائماً سيكون حليفهم، وذلك بسبب أن هذه الأرض وطبيعتها لا تصلح لأي أحد آخر غيرهم، كما أنهم تمرسوا على القتال في هذه الأرض، واستطاعوا الهروب من قبضة أعدائهم.

جيوفاني فيناتي:

أثنـاء مـرور الرحالـة الإيطالـي الـذي زار الجزيـرة العربيـة عـام 1226هـ/ 1811م بمناطـق الدولـة السـعودية الأولـى، سـجّل لنـا بعـض مـا عاشـه وشـاهده مـن كـرم السـعوديين وحسـن ضيافتهـم، كمـا ذكـر أنهـم شـعب ودود ورحيـم ويتحلـى بالعديـد مـن الأخلاق الكريمـة، بـدا لـه ذلـك عندمـا أكرمـوه بعـد رحلـة شـاقة مـن التعـب، أصـروا عليـه أن يرافقهـم فـي رحلتهـم حتـى يقتربـوا مـن مكـة المكرمـة، وأثنـاء الطريـق يذكـر جيوفانـي أنهـم رحبـوا بـه ضيفـاً كريمـاً فـي الرحلـة، وأبـدوا لـه مشـاعر الترحـاب والعطـف والمـودة التـي علـى حـد وصفـه لـم يـر مثلهـا فـي أي بلـد آخـر، وأن هـذه المشـاعر الطيّبـة أنسـته مشـقة وتعـب السـفر، كمـا زودوه بـكل مـا يحتـاج إليـه مـن وسـائل الترفيـه وصنعـوا لـه الخبـز، وجلبـوا اللبـن الخـاص بهـم، وأعطـوه جـملاً يحملـه، بـدلاً مـن أن يمشـي علـى قدميـه، وهـذا مـن نُبـل أخلاق السـعوديين وكرمهـم بـأن لا يتركـوا مسـافراً يسـير وحيـدًا.

كمـا تحـدث "جيوفانـي" عـن شـخصية غاليـة البقميـة، باعتبارها إحـدى النسـاء الشـهيرات في عهـد الدولة السـعودية الأولـى، حيـث شـبَّه شـخصيتها بشـخصية بـطلات المسـرحيات الرومانيـات القديمـة فـي التاريـخ الرومانـي، فهـي تحظـى بشـخصية قويـة جعلـت منهـا ضـد القـوات العثمانيـة المعتديـة، كمـا تحـدث عـن عزيمة وقـوة السـعوديين فـي الدفـاع عـن وطنهـم، وأرضهـم وسـجّل مـدى إعجابـه بهـم.

جون لويس بوركهارت:

فقد تحدث عن الدولة السعودية الأولى بصورة موسّعة حيث زار الجزيرة العربية في فترة حكم الإمام سعود بن عبد العزيز عام 1229هـ/ 1814م، وكتب عن وصف المدن التي زارها وهي: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والطائف، وينبع، وتناول الأوضاع الاجتماعية والعمرانية، كما تناول الروتين اليومي للسعوديين وأساليب المعيشة والعادات والتقليد، والحج والحرمين، كما قدم نبذة عن تاريخ تأسيس الدولة السعودية الأولى، وتحدث عن المؤسس الإمام محمد بن سعود كما تحدث عن الإمام سعود وعائلته وقصره ومجالسه وعلاقته بشعبه وخيوله، وفي هذا الصدد تحدث على نحو مفصل عن شخصية الإمام سعود بن عبد العزيز، حيث يذكر بوركهارت أنه كان قريباً من شعبه وحريصاً عليهم، ومن أمثلة ذلك أنه كان يفتح مجالسه في الصباح والمساء وغالبية الأوقات خلال اليوم ليجلس مع الناس ويسمع لهم، كما أنه كان يجلس مع الناس في أي مكان ويسمح لهم بأن يجلسوا في أي مكان دون ترتيب معين ويسلم عليهم سلاماً يتخلله المودة والاحترام، وليس ذلك فقط بل إن الإمام سعود كان يحرص على إقامة الموائد للضيوف والوفود والعامة من الناس، وحقيقةً أن حديث بوركهارت عن الإمام سعود يدل على مدى إعجابه بهذا الإمام القائد الذي يحرص كثيراً على راحة مجتمعه وشعبه.

جورج فورستر سادلير:

البريطاني الذي مر بأراضي الدولة السعودية الأولى، حيث بدأ رحلته من شرق الجزيرة العربية، وصولاً إلى مدينة ينبع على البحر الأحمر، ومر على جميع المناطق الواقعة براً، وذلك عام 1234هـ/ 1819م بعد عام من سقوط عاصمة الدولة السعودية الأولى الدرعية على يد القوات العثمانية المعتدية، حيث تحدث "سادلير" عن أهالي الدرعية الذين هربوا من الهجوم العثماني بعد تدمير الدرعية بأنهم لجأوا إلى السكن خارج الدرعية تحديدًا عند بساتين النخيل بالقرب من منفوحة، ويذكر "سادلير" أنه على الرغم من سوء وتردي الحال الذي وصل إليه السعوديون بعد الحرب، إلا أنهم أصرّوا على الدفاع عن مدينتهم وعاصمتهم ومقاومة القوات العثمانية المعتدية بالمال والدم، كما قاموا بتحصين منازلهم وأشهروا السلاح في وجه العدو، وأظهروا شجاعة لا مثيل لها، وذلك حرصاً على وطنهم من العدو الغادر.

وبعد وصوله إلى موقع الدرعية على وادي حنيفة، وقف على حطام وبقايا المدينة وأسوارها المبنية من التراب الأصفر والحجارة المتماسكة والمتراصة حجراً فوق آخر، وذكر أنها تمتد إلى الغرب في سلسة طويلة من التلال بين الشمال الغربي والجنوب الشرقي، كما تُرى سلسة أخرى إلى الشمال متجهة نحو الشمال الشرقي. وبحكم وقوفه على أطلال وبقايا المدينة، فقد تحدث سادلير عن البناء والعمارة في الدرعية، وذكر أنه "كثيف ومتقارب ومرتفع على بروز طبيعي يحميه من أحد جوانبه وادٍ ضيق عميق وشديد الانحدار، ومن جهة الغرب سلسة من الأبراج متصلة فيما بينها بسور، ويشار إلى هذا الجانب الغربي باسم "الطُّريف" وهو منفصل عن البلدة الشرقية المسماة بالوادي العميق الضيق الرئيسي "وادي حنيفة"، كان هذا الجانب أيضاً محاطاً بأبراج وسور، ويحمل الوادي مسؤولية الاتصال مع أجزاء من المدينة الواقعة في الشمال التي لم تكن محمية على نحو جيد إذا ما قورنت مع الأجزاء الواقعة جنوباً، ويجري خلال هذا الوادي جدول ماء على مدار السنة، يزداد في الشتاء إلى مستوى السيل".

القِيَم

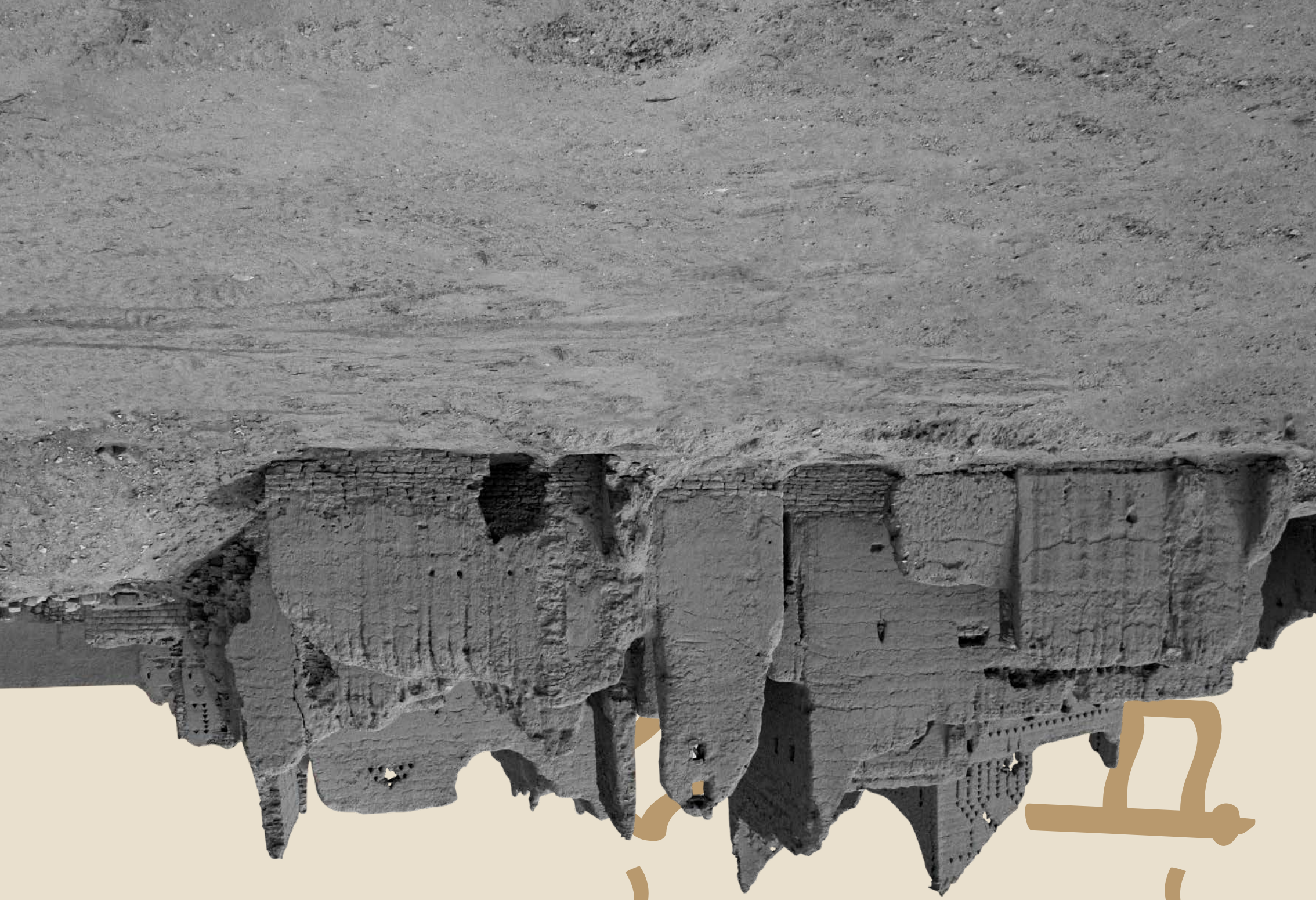

الوحدة والترابط

تعتبر الوحدة الوطنية أساس بناء المجتمعات، كونها الوسيلة التي تعبر عن مدى تلاحم وتماسك الشعب داخل الدولة، حيث يتحد جميع أفراد المجتمع مهما اختلفت الفروقات الفردية بينهم، من أجل العمل المشترك نحو تحقيق الأهداف الوطنية المشتركة ورفع مستوى التطور والازدهار في الوطن.

ويتطلب تحقيق الوحدة الوطنية فهماً عميقاً للتنوع الثقافي والاحترام المتبادل بين الأفراد، فضلاً عن تعزيز القيم الوطنية المشتركة التي تجمع الناس سويةً، كما تلعب العوامل الاجتماعية والثقافية والتعليمية دوراً هاماً في بناء الوحدة الوطنية؛ حيث تعزز الانتماء والولاء للوطن من خلال تعزيز الوعي بالهوية الوطنية والقيم التي تجمع الناس.

كما تعتبر الوحدة الوطنية عنصراً أساسياً لاستقرار الدول وتقدمها، فهي تمنح القوة للشعب والقدرة على التغلب على التحديات الداخلية والخارجية. عندما يجتمع الشعب تحت راية الوحدة والتضامن، يمكنه تحقيق التقدم والنجاح في مختلف المجالات، سواء في الاقتصاد، أو التعليم، أو العلوم، أو الثقافة أو أي مجال آخر، لذلك اهتم أئمة الدولة السعودية الأولى، ببناء وحدة وطنية متماسكة بين جميع أفراد المجتمع السعودي، وذلك من مبدأ ديني ووطني عميق جداً، فقد اتخذ الإمام المؤسس محمد بن سعود من وحدة وترابط المجتمع فلسفة جديدة وعميقة للحكم، باعتبارها قاعدة أساسية، معتمداً على قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ {سورة آل عمران الآية ١٠٣}، ونرى اهتمام الأئمة في هذا الأمر يتجلى في تطبيقهم معنى الوحدة والترابط وفق عملية بناء متواصلة لمفهوم الوحدة الوطنية، ابتدأها الإمام محمد بن سعود حيث سعى إلى تطبيق الوحدة والترابط منذ أن تولى إمارة الدرعية فعمل على توحيد شطري الدرعية بضم المليّبيد وغصيبة وعمل على توحيد صف أهالي الدرعية، بعد أن كانوا شتاتاً، كما استمرت عملية الوحدة التي ابتدأها الإمام محمد بن سعود حتى عهد الأئمة الآخرين من بعده، بحيث استمرت عملية الوحدة حتى شملت جميع مناطق نجد، واتسعت دائرة الوحدة في الدولة السعودية حتى طالت جميع مناطق الجزيرة العربية، وقد كان أساسها هو الترابط من أجل توحيد المنطقة ووحدة المجتمع.

إن هذه الوحدة التي ابتدأها أئمة الدولة السعودية الأولى هي الركيزة الأساسية لبناء مجتمع سعودي واحد، وهي أساس الترابط بين جميع أفراد المجتمع واستقراره ووحدة صفه منذ عهد التأسيس حتى عهدنا الحاضر، ونحن نرى نتائج هذه الوحدة في وقتنا الحاضر لبناء مستقبل مزدهر ومشرق للوطن.

التلاحم

يعد التلاحم قوة المجتمعات والمظلة الآمنة التي يستظل بها أفراد المجتمع، وهو الميثاق و الرابط الذي يلم شمل الأمة الواحدة حول مبادئ وطنية سامية كالتآخي، والتراحم، والعطاء، ومحبة الخير للغير، والتلاحم لا يقتصر على علاقات الأفراد ببعضهم البعض بل إنه يتصل أيضاً بعلاقة المجتمع مع الحكام، لذلك يُعد الركيزة الأساسية لدعم وتحقيق التقدم والتطور والتنمية بأشكالها المختلفة بين أفراد المجتمع الواحد، وبين المجتمع ومؤسسة الحكم حتى ينعكس التلاحم على مقومات البلاد الحيوية كتنمية الفرد، والأرض، والاقتصاد، والحضارة، والعمران.

والتلاحم المجتمعي يعني التعاون بين أفراد المجتمع على أساس المبادئ الوطنية والقيم الأخلاقية كالتسامح، وقبول الآخرين، والمساواة، وتحقيق العدالة، ونشر الأمن والأمان، لتقديم أكبر قدر ممكن من الرفاه الاجتماعي، حتى يتحقق التقدم والتطور داخل المجتمع، في ظل تحقيق الأهداف والغايات المرجوة على مستوى الأفراد وعلى مستوى المؤسسات الرسمية.

وقد عرف مجتمع الدولة السعودية الأولى مصطلح التلاحم المجتمعي، حيثُ كان المجتمع منسجماً بقيمه وبأهدافه وتسامحه وثقافته المتعددة، بعدما كان لعدة قرون سابقة يعاني من الفوضى وعدم الاستقرار، ويعود فضل ذلك إلى أئمة وقادة الدولة السعودية الأولى الذين أولوا التلاحم أهمية خاصة لحماية نسيج المجتمع داخلياً، فقد جعلوا من التلاحم أسمى الأهداف التي يسعون لتحقيقها بفاعلية، وتحكي لنا المصادرة المعاصرة قصصاً عن صور التلاحم في المجتمع السعودي، ومنها: حرص أئمة الدولة السعودية الأولى على ترسيخ قيمة الحوار الدائم مع المواطنين؛ لنشر مبادئ التلاحم الوطني كالتكافل الاجتماعي والتسامح ومساعدة الآخرين، فعلى سبيل المثال: عندما شهدت أراضي الدولة السعودية الأولى قلة في الأمطار وارتفاع في الأسعار، اشتد على أثر ذلك الغلاء والقحط والجوع، وقد استمر هذا الحال لمدة ثلاثة أعوام، مات على إثر ذلك النساء والرجال والأطفال والبهائم من الجوع، فأمر الإمام عبدالعزيز بن محمد الناس من خلال الحوار والنقاش بالتضرع إلى الله أولاً لرفع هذا البلاء ومن ثم إنفاق الصدقات على الضعفاء والفقراء وتفريق الطعام على المحتاجين والعناية بهم، وهذا هو مفهوم التلاحم والتكافل الاجتماعي الذي حث عليه الإمام عبدالعزيز وقد ظل يسري في جسد الدولة إلى اليوم.

العدل

يعد العدل أحد أهم القيم الأساسية التي تشكل المجتمعات، فهو يعتبر العمود الفقري لأي نظام اجتماعي صحيح ومستدام، ويعتبر العدل أحد الأسس الرئيسة التي يجب أن تقوم عليها الدول لتوفير المساواة والاستقرار والسلامة للمواطنين، وتقرّها كركيزة أساسية للحكم، وعلى مر العصور التاريخية نرى الملوك والحكام الذين يضعون العدل كأساس لحكمهم يعملون على إنشاء نظام يضمن حقوق جميع أفراد المجتمع بحيث يتم معاملة الجميع بالمساواة. كما يسعى الحكام إلى تقديم فرص متساوية وعادلة للجميع في جميع أمور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والقضائية وغيرها.

وفي عهد الدولة السعودية الأولى كان العدل كأساس يشجع على تقوية الثقة والعلاقة بين الإمام وشعبه، حيث عمل أئمة الدولة السعودية الأولى على اتخاذ قيمة العدل كمنهج للحكم، منذ تأسيس الدولة على يد المؤسس الإمام محمد بن سعود، وقد التمس الناس من جميع مناطق الدولة السعودية الأولى أن هناك نظاماً يعاملهم بالعدل ويضمن حقوقهم ويأخذ بحقهم في حال تعرضوا إلى الظلم، حتى التفوا حول أئمة الدولة السعودية الأولى، بسبب ما وجدوه وما شعروا به من تطبيق فعلي وتجسيد عملي لمعنى العدل على جميع الأصعدة وفي جميع أمور حياتهم اليومية، ومن مظاهر تطبيق العدل في الدولة السعودية أن الإمام بنفسه كان من يقوم بتعيين القضاة وفق من يرى فيه الكفاءة العلمية والأمانة والنزاهة، وما يراه مناسباً لمصلحة المجتمع، وقد عمم هذا الأمر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في جميع مناطق الدولة السعودية الأولى، حيث عمل على تعيين القضاة في جميع مناطق الدولة السعودية الأولى لمتابعة مصالح المجتمع السعودي، وحرص على اختيارهم بنفسه وفق ما يراه مناسباً بحيث يكون القاضي عالماً وكفؤاً، كما أمر لهم بمرتبات مجزية.

وقد أظهر العدل كقيمة مجتمعية الأهمية الكبيرة في بناء مجتمع سعودي مستدام ومزدهر، وهذا ما كان قائماً عليه المجتمع السعودي، حتى أصبح المجتمع آنذاك فاعلاً مقارنةً بالمجتمعات الأخرى في تلك الحقبة الزمنية، ومن أكثر المجتمعات التي تطبق قيمة العدل.

الشورى

الشورى مبدأ إسلامي، يستمد مشروعيته من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وهو منهاج مرتبط بالشريعة الإسلامية، كما أنه قاعدة عميقة الجذور، واسعة النطاق في نفوس الأفراد، وفي كيان المجتمع المسلم. وتعرف الشورى بأنها تبادل الآراء، ووجهات النظر في قضية من القضايا، أو موضوع من الموضوعات، واختبارها من أصحاب الرأي والخبرة، وصولاً إلى الصواب وأفضل الآراء، من أجل تحقيق أحسن النتائج، فهي آراء تتولد من خلاصة فكر وتجربة، وجهد وبحث، ودراسة، وعلم وخبرة، وذلك في إطار يتمشى مع الشريعة ولا يخالف الكتاب والسنة. وللشورى أهمية كبرى في أي تنظيم كان، أو أي جماعة من الجماعات، وعليها ترتكز الدولة المسلمة التي تنشد لرعاياها الأمن والاستقرار، وهكذا نجد الشورى من المفاهيم التي رسخت جذورها في المجتمع الإسلامي، وأصبحت تميز نظام الحكم في الإسلام. إن المتتبع لتاريخ الحكم في المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها يجد أنه قام على منهج الشورى ، الذي استمر دون انقطاع منذ عهد المؤسس الإمام محمد بن سعود حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود – يحفظه الله ، ففي عهد الدولة السعودية الأولى اتخذ الأئمة الشورى مبدأ أساسياً للاستماع إلى جميع وجهات النظر والسماح للمواطنين بطرح الأفكار والمشاركة في بناء مجتمعهم، فكان الإمام محمد بن سعود يقوم باستشارة العلماء والوجهاء من باب الاستفادة من وجهات النظر، وفيما يخص القرار النهائي فقد كان يتخذه بنفسه وفقاً لما يراه مناسباً للجميع ويحقق مصالح للدولة والمجتمع، كما كان يستشير ابنه وولي عهده الإمام عبدالعزيز بن محمد الذي كان يعتبره ساعده الأيمن في العديد من القرارات الإدارية في الدولة، وذلك كي يشركه في الحكم وليتم تأهيله بشكل كافٍ، وعندما أصبح الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إماماً بعد وفاة والده – رحمه الله- كان يشاور ويستشير العلماء والقضاة وأصحاب الرأي السديد.

الفخر

يُعدّ الفخر أحد القيم الإنسانية والشخصية وهو الشعور العميق الذي يتجلى في الإنسان بفخره بنفسه وبما يحقق من إنجازات. وتنعكس هذه القيمة على الفرد في موطنه، وأرضه التي يعيش بها، ومنظومة القيم الإنسانية الأخرى التي تدعم هذه القيمة في نفسه، بل ويتضح بها مدى ترابط وولاء الأمة للوطن. يفخر الإنسان السعودي ويعتز بالقيادة الرشيدة، والأمجاد المديدة، والتاريخ العريق، والحضارة الأصيلة، وقدسية المكان. كل هذه الدعائم الأساسية تمكن السعوديين من الفخر والاعتزاز بوطنهم وتُأصّل قيمة الفخر في نفوسهم فسيرة وطنهم الممتدة من أزمان سالِفة شكلت لديهم أساساً قوياً متجذراً تغذيه العواطف القوية، امتداداً، وكثافةً، وشدةً ولیناً فتجسد بذلك معانيَ وصوراً عديدة للفخر.

يرسم الإنسان السعودي تحديداً سيرة وطنه من خلال فخره بحاضره الذي يعيشه، فهو يشهد تحولات عظيمة قابلة للتحقق، فلا مستحيل بعون الله ثم دعم القيادة الحكيمة؛ فيحقق بذلك حلماً باهياً باستشراف رؤية مستقبله من خلال حاضره. كما تأتي قيمة الفخر تعزيزاً، لشعور الإنسان من داخله بقيمته الإنسانية كفرد فعّال على هذه الأرض ومكملاً أساسياً في وطنه، فهو بذلك يكمل أمجاد الآباء والأجداد من الماضي العريق، وصولاً للحاضر المزدهر، والتطلع لرؤية مستقبلية باهية.

وللفخر نماذج كثيرة في الإنسان السعودي تجلّت في تحقيق ما لا يمكن تحقيقه، فنحن كسعوديين نعتز ونفخر بأنفسنا وماضينا، وحاضرنا، ونتطلع لمستقبلنا.

ومما جاء في الفخر قول الشاعر فهد بن دحيم:

حنا هل العوجا نسابق دختّا فعلـنا بيّـن وكـلٍّ درى بـه
لي مشينا والبيـارق مشـنّـا كل جـوٍ مشبعـين ذيـابه
نثنـي لعيـون مـن هو تثنى جادل همّه يعلّل خضـابه

العزم

كان العزم أحد القيم الراسخة لدى أئمة الدولة السعودية الأولى منذ عهد المؤسس الإمام محمد بن سعود، وهو أحد القيم الأصيلة والخصال الحميدة التي تأصلت في المجتمع السعودي. فمنذ عهد الدولة السعودية الأولى والإنسان السعودي يتصف بالشجاعة، والعزم، والإصرار مع الإقدام بعقل في موقف حاسم، وهي الكامنة في جنانه تدفعه إلى خوض المعارك، وتجشم الأحوال، والعزم والإصرار صفتان لا تنفصل أحدهما عن الأخرى.

وقد اتسمت شخصية المؤسس الإمام محمد بن سعود بقيمة العزم، وتظهر هذه القيمة جلياً في قصة قيام الدولة السعودية الأولى عام 1139هـ/ 1727م، عندما عزم الإمام محمد على تأسيس دولة سعودية وتوحيد جميع مناطق الجزيرة العربية بعد قرون من الشتات والفرقة وانعدام الأمن تحت كلمة واحدة، ووطن واحد، وعزيمة واحدة. وبذلك أنشأ دولة جذورها راسية، ومتأصلة في نفوس الشعب السعودي استمرت لثلاثة قرون وما تزال حتى وقتنا الحاضر.

الإصرار

الإصرار هو مفتاح التقدم والنجاح في المجتمع، فعندما نتحدث عن قيمة الإصرار، فنحن نتحدث عن القوة الداخلية التي تدفع الأفراد والمجتمعات والحكومات نحو تحقيق الأهداف وتجاوز العقبات، ويمثل الإصرار العزيمة والإرادة الصلبة التي تساعد الأفراد على مواجهة التحديات والصعوبات التي قد تواجههم في مسيرتهم، ويعد الإصرار محركاً أساسياً للتطور والتقدم، فعندما يكون لدى المجتمع إرادة قوية وعزيمة صلبة لتحقيق أهدافهم، يصبح قادراً على تحويل الصعاب والتحديات إلى فرص، والأحلام إلى واقع؛ فالإصرار يعزز من ثقة أفراد المجتمع ببعضه البعض، ويمنح الشخص القدرة على تحمل التحديات. وتمثل قيمة الإصرار في المجتمع عاملاً تحفيزياً كبيراً لتحقيق التغييرات الإيجابية، والتقدم والازدهار والاستمرارية بالرغم من كل الظروف، وذلك عندما يتحدى أفراد المجتمع الصعاب والمشاكل بإصرار، يمكنهم تحقيق تحولات هائلة في مختلف المجالات، سواء كان ذلك في مجال العمل الاجتماعي، والتعليم، والصحة، وغيرها، وهذا ما نراه في المجتمع السعودي الذي يعتبر مجتمعاً يواجه التغيرات، ويصرّ على تحقيق الأهداف والتطلعات منذ ثلاثة قرون ، فمنذ عهد الدولة السعودية الأولى كان المجتمع السعودي بقيادته يصر على تحقيق الإنجازات والتطلعات حتى أصبح من أقوى المجتمعات، ومن تلك الأمثلة التي لا حصر لها عبر التاريخ السعودي أن الإمام محمد بن سعود كان يصر على تحقيق حلم الوحدة حتى تمكن من توحيد إمارات نجد خلال أربعين عاماً منذ أن تولى الحكم في الدرعية.

وأثناء حصار وسقوط الدرعية على يد الدولة العثمانية المعتدية نرى نموذجاً فريداً من نماذج الإصرار والالتحام تمثل في الدفاع عن العاصمة السعودية الدرعية وذلك عندما التحم جميع أفراد المجتمع السعودي مع القائد الإمام عبدالله بن سعود والجنود والحراس والشيوخ والنساء والأطفال مصرّين على الدفاع عن عاصمة وطنهم مع قيادتهم الرشيدة بإصرار وعزيمة، حيث التحموا مع قيادتهم أثناء حصار الدرعية وسقوطها عام 1233هـ/ 1818م.

البطولة

قامت الدولة السعودية على قيم ثابتة، كانت سبباً في ترسيخ حكمها منذ قيام الدولة السعودية الأولى حتى عصرنا الحالي؛ ومن أهم هذه القِيَم قيمة البطولة التي شكّلت أساساً راسخاً منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى، فلولاها لما استمرت الدولة السعودية ثلاثة قرون، واتضحت تلك القيمة من خلال معارك التوحيد التي قامت على أساسها الدولة السعودية الأولى ثم الثانية فالثالثة أثناء توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -طيّب الله ثراه-. وتكمن البطولة في القوة الداخلية التي تدفع الجيوش والفرسان السعوديين إلى الاستمرار في الدفاع عن وطنهم بشرف وقوة وبسالة، كما كان الإمام بنفسه يحرص على أن تكون البطولة هي الأساس الذي يتم بناءً عليه اختيار الفرسان للحروب والقتال.

تعتبر البطولة التي قام بها أئمة الدولة السعودية الأولى بشكل خاص، والمجتمع السعودي بشكل عام؛ والتي تجسدت في الدفاع عن الوطن والذود عنه، والمحافظة على كامل رقعته أحد الأسس التي تأسست عليها الدولة، كما أنها تعبر عن ارتباط الأجيال بالبطولات والتضحيات التي قدمها آباؤهم وأجدادهم من قبلهم، وعند تتبع مسيرة أئمة الدولة السعودية الأولى، يظهر لنا جانب البطولة في العديد من الجوانب الشخصية والقيادية، والتزامهم بها كقيمة أساسية، فكان الإمام محمد بن سعود يتمتع بروح غير عادية من البطولة، وقوة أكبر، وتأثير أقوى حتى وحّد كلمة الدولة السعودية تحت راية واحدة.

الكرم والضيافة

يعتبر الكرم والضيافة حق للضيف في الدولة السعودية الأولى، ويضمن حق الضيف في الحماية الكاملة لروحه وممتلكاته، فأينما ذهب يتبعه أحد رجالهم، فيكون الضيف تحت حماية ضيافته، ولا يسأله مضيفه عن حاجته إلا بعد مرور ثلاثة أيام من وصوله.

ومن مظاهر الكرم والضيافة تقديم القهوة التي تعد رمزاً من رموز الكرم والضيافة في الدولة السعودية الأولى؛ فكان الشيوخ يقدمون القهوة للضيف في جميع الأوقات، وكانوا يجلسون في خيمة مخصصة لشرب القهوة، وينعقد في بيت مطلق، أو بيت شعر آخر من بيوت كبار الشيوخ، حيث كبار الشيوخ ورفاق القهوة يمكن أن يجتمعوا في ذاك صباحاً.
ارتبطت قيمة الكرم والضيافة بالإنسان في الدولة السعودية الأولى؛ فكان الفرد في مجتمع الدولة السعودية الأولى مضيافاً وكريماً، وينتشر الكرم والضيافة لدى كل الطبقات في المجتمع، وتمتزج مع روح الإحسان التي تميز السعوديون بها، وتكون نابعة من مكارم الأخلاق، وكذلك من العادات المألوفة المرتبطة بالكرم اشتراك النساء في الصحراء بضيافة الغرباء في غياب أزواجهن، حيث تقوم إحدى قريبات الرجل الغائب بواجب الكرم والضيافة.

تختلف عادات الكرم والضيافة بين مناطق الدولة السعودية الأولى إلا أن جميعها تتفق في أن الكرم قيمة أساسية في المجتمع؛ ففي المنطقة الغربية تختلف العادات بعض الشيء عن عادات المنطقة الوسطى في نجد، والمنطقة الجنوبية عنها في الشمالية، ويقال إن النساء في الدولة السعودية، وفي هذه الحالة لا يمكث الضيوف دائماً في خيمة المضيف، وإذا حدث ذلك فتكون لفترة قصيرة، ويقود المضيف الغريب إلى خيمة مؤثثة، وفسيحة تنتمي إلى أحد معارفه ويقوم بضيافة الغريب بنفسه ولا يقوم صاحب الخيمة بذلك.

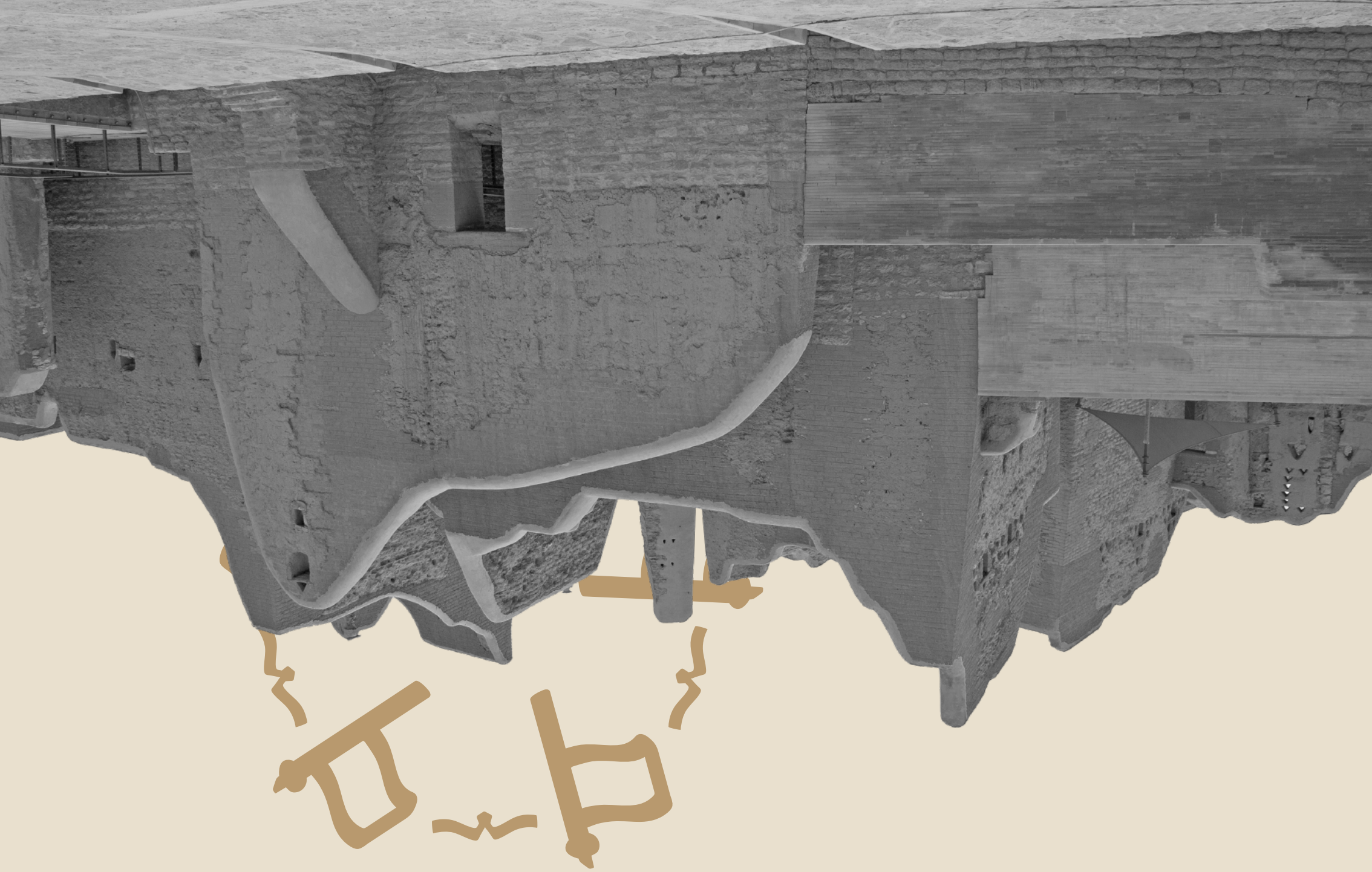

الثقافة

الثقافة في الدولة السعودية الأولى

كل دولة من دول العالم لها بصمة خاصة بها تتمثل بالرموز الدالة عليها وتعرف بها، وتتنوع هذه الرموز ما بين رموز عينية مثل علم الدولة، وشعارها، وهويتها، وأزيائها، وطعامها، وحيواناتها، وأشجارها، ورموز معنوية؛ كعادات شعبها، وتقاليدهم، وفنونهم، ولغتهم

وإذا نظرنا بكثب، فسوف نجد أن ثقافة الشعب السعودي متنوعة، لما تتسم به أرضهم من مساحة شاسعة ضمت تضاريس ومناخاً مختلفاً ما بين بحر وسهل وجبل، وما بين صحراء ووديان وأرض خضراء، وتاريخ طويل عريق توارث شعبه روائع الأجداد من لهجات، وعادات وتقاليد، ولباس، وطعام، وفنون يفخر كل سعودي بها من أي منطقة كان، منصهرين بثقافة واحدة هي الثقافة السعودية الأصيلة المتجذرة من القدم منذ ما يقارب 300 سنة بدءاً منذ عهد الدولة السعودية الأولى

«سيفين والنخلة كرم»، هذه العبارة يجب أن تكون بالخط العريض لبدء الحديث عن أهم رموز الثقافة السعودية، فـ «النخلة» موطنها الأصلي أرض المملكة العربية السعودية؛ حيث تكثر زراعتها،حتى أصبحت في وقتنا الحالي أكبر مُصدرٍ للتمر، فكان التمر إبان الدولة السعودية الأولى غذاء لكل الشعب السعودي، وتعددت أنواعه على حسب نوع المنطقة، ولعل أشهرها تمر العجوة الذي يزرع بشكل خاص في عالية المدينة المنورة، وله ارتباط في الثقافة الدينية الإسلامية، فقد أوصى الرسول ﷺ بتناول سبع تمرات كل صباح منه، لما له من فوائد صحية على الروح والجسد، فأصبحت عادة تناول التمور في كل بيت، فلا يكاد يخلو بيت سعودي منذ القدم إلى الآن من التمر

وهو من الأصناف التي تدل على الكرم، فلا يصح في الثقافة السعودية إكرام ضيف دون أن يقدم له التمر مع القهوة السعودية؛ فإكرام الضيف أحد أبرز العادات والتقاليد السعودية، وهو من الخطوط الحمراء بين السعوديين جميعاً فعدم إكرامه أو التقصير في خدمته أو إهانته، لها ردة فعل مستنكرة، فيعاب من يهين الضيف ويعتبر ناقصاً أخلاقياً، وهي ثقافة متوارثة منذ القدم في التراث السعودي، ومازال الشعب السعودي محتفظاً بها

وقد اتسم أئمة الدولة السعودية الأولى بالكرم فقد كان الإمام محمد بن سعود يعطي الناس عطاءً جزيلاً، وكان الإمام عبدالعزيز يأمر بالعطايا الجزيلة لأهل القرى والبلدات، وكان الإمام سعود بن العزيز حفيد الإمام محمد المؤسس للدولة السعودية مضيافاً من الدرجة الأولى، فكانت ضيافته تبدأ من بعد الظهر إلى ما بعد العشاء حيث كان خازن المؤنة لقصره يخرج كل يوم ما يقارب من خمسمائة صاع من البر والأرز، فأوائل الداخلين عليه من الضيوف يكون طعامهم اللحم والأرز والخبز، والذين يأتون من بعدهم قريب من طعامهم والذي يتبعونهم حنطة خالصة، حتى لا يكاد يبيت أحد جائعاً في الدرعية، ومن حسن كرمه وضيافته أن مجالس ضيافة الطعام مفتوحةٌ للجميع ومرحبٌ بهم.

وأيضاً يعتبر السيف أحد الرموز العينية المهمة للثقافة السعودية، فهو من الأسلحة التقليدية المتوارثة يُزين غمده بالنقوش المذهبة، فهو زينة وقوة لفرسان الدولة السعودية الأولى وحكامها، لذلك اختير ليكون شعاراً على العلم السعودي دلالة على الدفاع عن الوطن، والقوة، وإنصاف الحق، والعدالة، وتعلوه كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله"

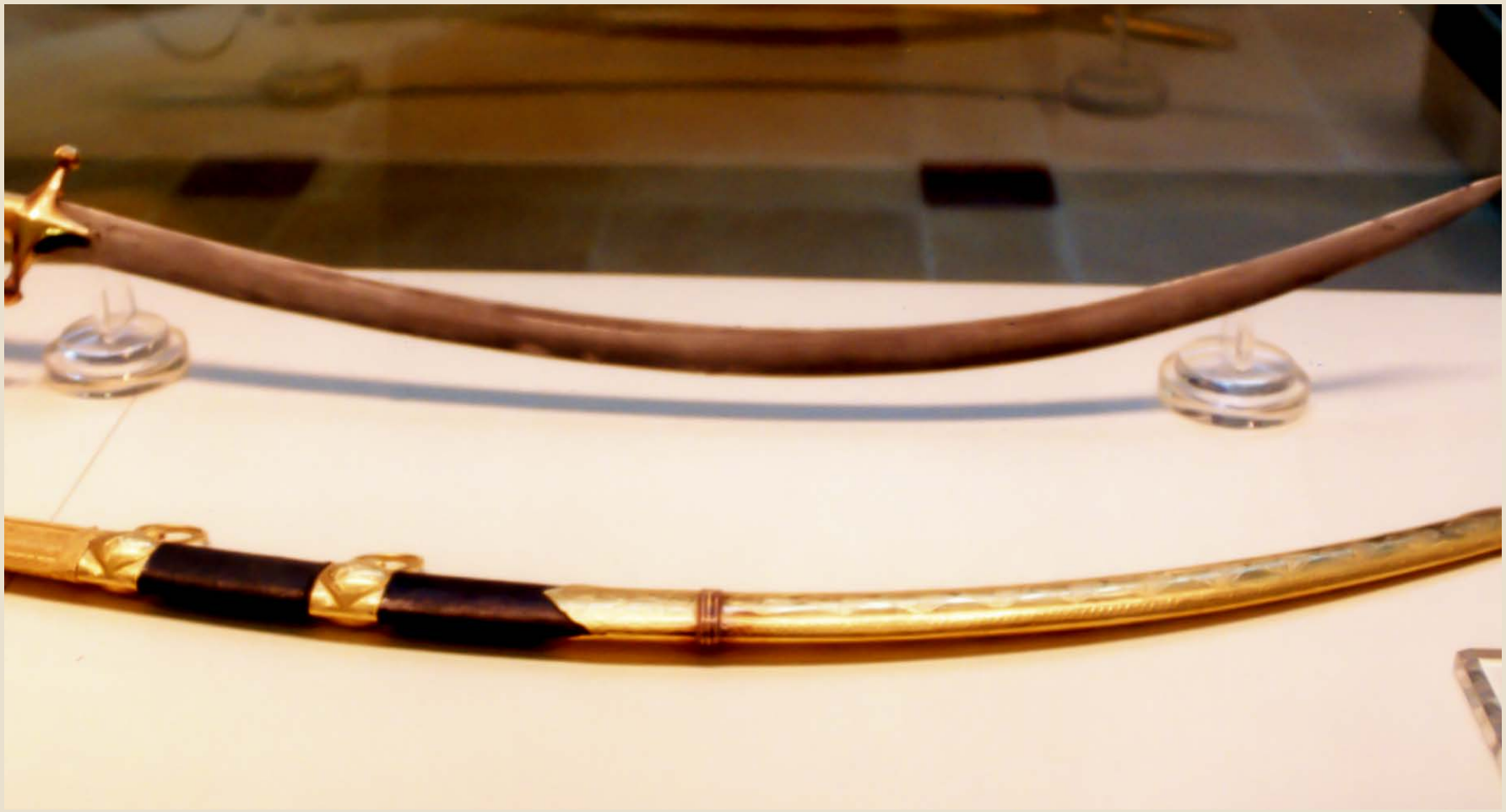

ومن الخطوط العريضة للثقافة السعودية ثقافة حب العائلة والترابط والتلاحم الأسري ليس فقط بين أفراد البيت الواحد، وإنما للجماعة التي تنتمي إليها الأسرة؛ فاحترام الوالدين وبرهما وطاعتهما والقيام بخدمتهما واجب على كل فرد، فهذا الأمر لا جدال فيه ومرتبط بالثقافة الإسلامية بأوامرها ونواهيها، فنجد أن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود كان مطيعاً لوالده الذي بيده الحل والعقد، والأخذ والعطاء، والتقديم والتأخير، ولا يستطيع عبدالعزيز أن يشارك في جيش ولا يصدر أمر أو رأي إلا بموافقة والده، ولا يخرج عن رأي أبيه وقوله وأمره، وهذا من بره بوالده واحترام مكانته حاكماً وأباً.

وصلة الرحم بين الأسر والأقارب والعناية بحقوق الجار عادة أصيلة منذ القدم ومستمرة إلى الآن، فلا يمكن أن ينفصل فرد، ويخرج عن إطار بيت العائلة إلا في حالة زواجه وانتقاله إلى منزله، وتكوين أسرة جديدة وحتى في هذه الحالة يترتب عليه زيارة بيت العائلة والاطمئنان على والديه وإخوته بشكل مستمر والوقوف على حاجاتهم، ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم وكذلك الجار الذي أوصى النبي ﷺ ببره والتواصل معه وجعل ذلك من صفات المؤمن الحق، فكان الجار بمثابة الأخ والصديق القريب يتواصلون فيما بينهم ويأمن الجار جاره على بيته في حال سفره، فيخدم أهل بيت جاره أثناء غيابه، ويقاس على ذلك تعامل أهل الحي أو الحارة الواحدة مع بعضهم، فقد كان الأمير عبد العزيز بن محمد كثير الرأفة والرحمة لرعيته من أهل الدرعية والمدن من حولها، فكان يجزل عليهم الأموال والصدقات على فقرائهم ويتلمس حاجاتهم ويسأل عن أحوالهم.

ولعلنا نرى هذه الصورة تتجلى بشكل أسمى في المناسبات كشهر رمضان والأعياد، فيصبح المجتمع كالجسد الواحد، فكان الإمام عبد العزيز كثير العطاء والصدقات، ومساعدة طلاب العلم، ومعلمي القرآن، والمؤذنين، وأئمة المساجد، واعتاد أن يرسل القهوة للمساجد لقائمي صلاة الليل.

أما الإمام سعود بن عبد العزيز فقد كان يفعل ما يفعله أبوه من تخصيص قهوة للمصلين في رمضان أثناء قيام الليل، بالإضافة إلى أنه كان إذا دخل رمضان استضاف المحتاجين من أهل نجد وغيرهم، وكل أعمى ومريض وما يقاس عليهم للإفطار في قصره، ويعطي كل واحد منهم ما يعادل خمسة ريالات ويزيد عطاؤه في العشر الأواخر من رمضان حيث كان كل ليلة يكسي كل محتاج عباءة ومحرمة ويعطيه عدة ريالات، فما تنتهي العشر الأواخر إلا وقد كساهم جميعهم.

وقد عرف السعوديون منذ القدم الصيد وعشقوا ممارسته، وهو ما يعرف «بالمقناص»، وهو عبارة عن رحلات برية للصحراء لتعقب الحيوانات البرية وصيدها سواء بالاستعانة بحيوانات أخرى للصيد؛ كالصقور، والكلاب السلوقية المخصصة للصيد، أو بالأسلحة؛ كالبنادق، والحربة.

وتعد مهارة الصيد بالصقور من المهارات القديمة التي تعلمها السعوديون فحرصوا على صيدها في مواسم هجرتها عند هبوب الرياح الباردة في موسم الخريف لاستخدامها في مواسم القنص والصيد التي غالباً ما تكون في الربيع.

والصقور طيور جارحة تمتلك مخالب حادة ومناقير قوية حادة معقوفة ولها ريش مرقط بعدة ألوان ترابية، كالبني، والأبيض، والرمادي، والأسود، ويفضل استخدام الصقر ذو الرأس الأبيض وعلى ذيله بقع بيضاء بقاعدة ذات لون بني أو أسود، ويفضلون صيد الصقر وهو فرخ ثم يقوم بتربيته الصقّار بنفسه حتى يعتاد عليه ويكون مطيعاً له متقبلاً لأوامره.

ومن مميزات الصقور أنها قوية وذكية، ولا تستسلم حتى تصيد الفريسة، فتواظب على مطاردتها باستثناء صقر الشاهين، فهو إن لم يفز بفريسته فسيتوقف عن مطاردتها، ويتميز الشاهين بسرعته العالية مقارنة بغيره من أنواع الصقور، كما أنه لا يستطيع تحمل الجوع أو العطش الشديد أو الشبع وهو سريع الغضب والنفور، ويجب التعامل معه برفق، وهو أقل من الصقر الحر في تحمل المشقة والتعب وأصغر حجماً منه.

وهناك العديد من أنواع الصقور التي تستخدم للصيد؛ إلا أن السعوديين يفضلون الصيد بالصقر الحُر، وهو صقر الصحراء، ويتميز بمرونته وقدرته على التكيف مع طابع حياة جو القنص، وهو من قوته قادر على أن يصطاد فريسة أكبر منه كالحبارى باعتبارها الفريسة الرئيسة له، ويتم عادةً صيد صغار الصقر الحُر في الجبال على مقربة من مكة المكرمة والطائف، وصغار الحر قوية وتفقس من البيضة أسرع من غيرها من الصقور، ويطلقون اسم « نادر» على الطائر الأقوى الذي له ساق قوية وقصيرة ويعمد الصقارون إلى تجويع الصقر قبل إطلاقه للصيد، لأن الصقر حين يجوع يزداد عزيمة وإصراراً على اقتناص فريسته وصقر المثاليث يتميز بطبع هادئ وأقل شراسة من الشاهين، كما يتميز بسرعة وسهولة التدريب، وهو أقل مرتبة لدى الصقارين من الحر والشاهين، ويعتبر الصقر المناسب للمبتدئين في الصقارة.

ورحلات القنص والصيد إلى وسط الصحاري أو أماكن تواجد بعض الحيوانات التي يحرصون على صيدها كالحبارى، والأرانب البرية، والجرابيع، وطائر السمان «الحجل»، وبعض الغزلان، والوعول البرية، بالإضافة إلى الطيور الموسمية المهاجرة، وعادة ما تكون رحلات القنص جماعية، فيندر خروج السعودي منفرداً للقنص، فيخرجون مجموعات، ويرافقها جلسات السمر والسهر في الخيام حول النيران، وتبادل القصص الشعبية والحكايات والطرائف، فهي ليست فقط هواية صيد وحصول على حيوانات يتغذون عليها؛ بل هي رحلات ترويح عن النفس وتوطيد علاقات أيضاً.

وتعد الفنون الموسيقية من أبرز سمات ثقافات الشعوب، فالموسيقى تعتبر رسالة سريعة الوصول تحمل في طياتها ثقافة شعب إلى الشعوب الأخرى المختلفة عنه، وقد زخرت الثقافة السعودية بالعديد من الفنون الموسيقية الجميلة الخاصة بها. وفكانت هذه الآلات تعبر عما في مكنون نفسه من فرح وحزن، فتنوعت الآلات الموسيقية في التراث الشعبي السعودي بناء على اختلاف مناطق المملكة وسكانها، فهذا التنوع أضفى ميزة إلى تنوع عاداتها وتقاليدها وغنى ثقافتها.

ومن أبرز هذه الآلات: الربابة بأنغامها الحزينة الساحرة، فعند سماع أنغامها تذكرنا بالصحراء، وهي الآلة المفضلة لأهل شمال المملكة العربية السعودية، وتصنع من جلد الغزال أو جلد الذئب المدبوغ الذي يلف على مربع خشبي، وهي من وتر واحد، ورافقت الربابة مناسبات الشماليين واجتماعاتهم، فيلقي الشعراء قصائدهم على الحضور، وغالباً ما تحتوي على معاني المدح لبعض الشخصيات البارزة أو الفرسان المحاربين المميزين.

وعلى الرغم من أن الأنغام التي تصدرها الربابة تبعث على الحزن إلا أنهم استطاعوا تطويعها بأن تخرج نوتات موسيقية تناسب المناسبات السعيدة ويصاحبها أصوات رجال شجية يتغنون بأبيات شعرية.

وقد عرف السعوديون آلة الطبل وصنعوا منها نوعين: الأول ويسمى «طبل التخمير» مصنوع من الأشجار ومغطى بالجلد وحجمه كبير، ويستخدم في القرع للحروب ويضرب بقبضة اليد، والثاني يسمى «التثليث» وحجمه أصغر من الأول ويستخدم في المناسبات السعيدة كالاحتفالات والأعراس.

وفي المناطق السعودية الساحلية دَرَجَ استخدام السمسمية، وهي آلة موسيقية كثيرة الأوتار، ويتغنى أهل المناطق الساحلية كالبحارة وصيادي اللؤلؤ بالأغاني البحرية التي تعتمد على صوت المغني بين الصيادين، وأثناء عملهم في رفع أشرعة السفن وطيها، كما يستخدمون التصفيق بطريقة معينة لها إيقاع موسيقي، وكذلك الطبول على ظهر السفن لطرد الملل أثناء العمل.

أما أهل المنطقة الغربية فنجد تنوع الآلات الموسيقية وتعددها أكثر من المناطق الأخرى بحكم اختلاطهم بشكل دائم مع ثقافات الشعوب الأخرى بسبب مواسم الحج وزيارة الحرمين الشريفين، فبرع أهلها بالفن الموسيقي منذ القدم، كما استخدموا الطبل والدربكة ، وكان أطفالهم يتسلون بآلة تسمى «الحوامة» وهي عبارة عن صفارة صنعوها من سيقان إحدى النباتات، وكانت لأهل المنطقة الغربية موسيقى مختلفة وغنية رافقت رقصاتهم المتنوعة في إحياء أفراحهم ومناسباتهم حيث يجتمعون لأدائها ومشاهدتها. ورفيق الموسيقى الدائم هو الرقص، فلا يكاد يخلو شعب من الشعوب من ابتكار رقصاتهم الخاصة به، فيعبر عن مشاعره بتعبيرات جسدية تترجم إلى رقصات ترافق مناسباته المختلفة.

ولعلنا نستطيع أن نقول إنه يوجد اتفاق غير معقود بين ثقافات العالم على ما يسمى برقصة الحرب التي تكاد أن تتواجد في كل الشعوب حول العالم، وهي رقصة لها أهمية كبيرة بحيث يؤديها المحاربون قبل بدء الحروب والمعارك، فنجد في التراث السعودي رقصة الحرب التي تسمى «العرضة»، والتي ظهرت منذ زمن قديم في معسكرات المحاربين، وكان الغرض منها إخافة العدو والظهور أمامه بأعداد كبيرة وإرهاب العدو بأصوات إطلاق الأعيرة النارية وقرع الطبول أثناء تأدية العرضة وبعدها، وهذه الرقصة تبعث الحماسة في نفوس المحاربين وترفع معنوياتهم عبر القصائد التي ترد في العرضة. وتعتبر العرضة ديوان المعارك الحربية فأثناء تأديتها يتداولون أبياتاً شعرية، وتقال بلحن يناسب إيقاع العرضة، وتصف ما جرى في المعارك التي وقعت من بطولات وتضحيات ومغامرات قتالية، والتغني بالانتصارات التي أحرزها من يحاربون، كما تتضمن الأبيات أيضاً مديحاً للقائد الذي يحاربون تحت لوائه وتعداد فضائله وأمجاده التي تنظم في قصائد شعرية. ثم أصبحت العرضة تقام في أوقات السلم في المناسبات الاجتماعية إلا أن الاختلاف يكون في اهتمام المؤدين بمظهرهم العام، فيرتدون ملابس زاهية وأنيقة للمناسبة والتسلح يكون أقل من وقت الحرب، فيرتدون في المناسبات أحزمة سيوف أو بنادق مرصوصة بأمشاط من طلقات الذخيرة، ويتوسط هذا الحزام خناجر لامعة وأحياناً تكون من الذهب لعلية القوم، ويرتدون على أجنابهم مسدسات صغيرة، وبأيديهم سيوف مجردة من أغمادها أو بنادق معبأة بالذخيرة.

أما الزي الشعبي لعرضة المناسبات، فهو ثوب أبيض فضفاض، وأردانه طويلة، وأحياناً يلبسون فوقه جباً مطرزة بخيوط الذهب.

مظاهر ثقافية في الدرعية:

للدرعية أهمية تاريخية، فهي تمتلك مكانة ثقافية وحضارية كبيرة في الدولة السعودية الأولى، حيث حظيت الدرعية باهتمام أئمة الدولة السعودية الأولى منذ عهد المؤسس الإمام محمد بن سعود وحتى عهد آخر الأئمة الإمام عبد الله بن سعود، وقد كان من نتائج هذا الاهتمام أن أصبحت الدرعية محط أنظار طلاب العلم والعلماء من مختلف الأقاليم المجاورة، كما أصبحت مركزاً للتنوع الثقافي والمعرفي حيث كثرت فيها مجالات العلوم والمؤلفات حتى أصبحت تزخر بالعديد من المكتبات.

وبرز في الدرعية العديد من المؤلفين والأدباء والشعراء والخطباء، وقد اهتم الأئمة بهذا الجانب كونه يمثل جانباً من جوانب الثقافة السعودية العريقة، حيث كانت الدرعية تضم العديد من الشعراء، وكان الأئمة يكافئونهم بهدية قيمة، كإهدائه نوعاً من أنواع الإبل الثمينة أو الغنم ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء الشاعر والمؤرخ حسين بن غنام الذي قدم من الأحساء إلى الدرعية واستقر بها حتى وفاته .

ومن مظاهر الثقافة في الدرعية العمارة النجدية، والتي مازالت باقية حتى اليوم؛ لتخلد تاريخ وأمجاد الدولة السعودية الأولى، وتكون شاهدة على ثقافة وتاريخ وحضارة الدرعية.

امتازت العمارة في الدرعية بالأدوات المستخدمة فيها؛ حيث اقتصرت في البناء على استخدام المواد الطبيعية المتوفرة في البيئة المحلية؛ وأهمها الطين الذي يعتبر المادة الأساسية للعمارة، وجذوع النخيل، والأشجار، والسدر، والأثل، بالإضافة إلى الأشكال الزخرفية والهندسية التي تزين أطراف المباني والأسوار من الجهة العلوية، والهدف منها دخول الهواء وضوء الشمس من خلالها، أو أن تكون فتحات للمراقبة في الأبراج والأسوار، كما أن هذه الأشكال الزخرفية زينت أيضاً الأبواب والنوافذ التي كانت تصنع من الأخشاب، ومن أهم وأشهر الأمثلة على العمارة النجدية قصر سلوى التاريخي الواقع في حي الطريف .

هذا التميز المعماري الذي اختصت به العمارة النجدية في الدرعية في الأسوار والمساجد والقصور، مما جعل منظمة الأمم المتحدة للتعليم والثقافة (اليونيسكو) تسجل الدرعية ضمن قائمة التراث العالمي عام 1431هـ/ 2010م، كما قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) باختيار الدرعية؛ لتكون عاصمة الثقافة العربية لعام 2030م .

من أهم روافد الثقافة في الدرعية (أسواق الدرعية) والتي كانت محط أنظار التجار من داخل أراضي الدولة السعودية الأولى أو من المناطق المجاورة، والوجهة الأولى لكل زوار الدرعية زمن الدولة السعودية الأولى، فمرور القوافل التجارية بنجد وتوقفها لعرض بضائعها في أسواق الدرعية، بالإضافة إلى التزود من المنتجات المعروضة في أسواق الدرعية، جعلها أهم مظاهر الثقافة في العاصمة الدرعية.

مما جعلها رمزاً للثقافة أيضاً هو طريقة بناء الأسواق وطريقة عرض البضائع فيها؛ لأنها تعطي دلالة واضحة على مدى التطور والازدهار الذي وصلت إليه، وعن مدى جودة الحياة في العاصمة الدرعية، هذا الأمر جعل كل من سمع عن الدرعية من المناطق المجاورة يرغب في العيش فيها، ومن مظاهر هذا الأمر ما تصوره لنا المصادر التاريخية بأن أسعار هذه الأسواق تباع بمبالغ هائلة تصل قيمة الدكان الواحد فيها إلى سبعة آلاف وخمسة آلاف ريال، في حين أن أقل مبلغ لهذه الدكاكين يبلغ الألف ريال.

كانت هذه الأسواق عبارة عن دكاكين متجاورة مقسمة لقسمين رئيسين تسمى (المواسم) قسم للنساء وقسم للرجال، بحيث يتم عرض البضائع الخاصة حسب كل قسم من هذه الأقسام، كما أنه يعرض فيها الذهب والفضة والمجوهرات، ويعرض فيها جميع أنواع الأقمشة للعبـاءات، والفساتيـن، والمشالــح الرجاليـــة، والأسلحة المزينة بالذهب، من بنادق، وسيوف، وخناجر، وغيرها، ويعرض فيها جميع أنواع الخيول العربية والنادرة باهظة الثمن، والإبل العمانيات التي تعتبر من أغلى أنواع الإبل في تلك الفترة، والمواشي بأنواعها .

القلاع والقصور في الدولة السعودية الأولى:

القلعة أو القصر: هو بناء محكم دفاعاً عن البلدة، ومحصنٌ من جهاته الأربع بأسوار محكمة البناء من الآجر والطين.
وتحتوي الأسوار عادة على أبراج لغرض المراقبة، بالإضافة إلى وجود فتحات ومنافذ لاستخدام البنادق والمدافع عند أي هجوم، وكذلك تستخدم لكشف تحركات العدو خارج الأسوار، وفي أوقات السلم تساعد على رصد قرب وصول القوافل التجارية، وتزين الأسوار بالعديد من البوابات، وتفتح صباحاً وتغلق مساءً. وعندما تولى الإمام محمد بن سعود الحكم كانت سياسته إذا ضمَّ بلدة كبيرة بنى حصناً وحفر حولها خندقاً إن كانت أرضها صلبة ويضع في الحصن حراساً عليها، يطلق عليهم أمناء، إما من أهلها أو من غير البلدة، ويدفع لهم مبالغ مالية، وتوفَّر لهم البنادق والبارود . وحظيت الدرعية عاصمة الدولة السعودية باهتمام الأئمة، وحرصوا على تحصينها، فقد كانت تتألف من مجموعة من الأحياء، ويحيط بكل منها سور، ويعتبر كل حي منها مستقل بذاته، أما الحدود الخارجية للدرعية، فكانت تحيط بها الشعاب والمرتفعات والتلال، وشكلت هذه التضاريس حصوناً طبيعية حول الدرعية التي بنى أهلها فوق تلك الحصون الطبيعية حصوناً حربية من الأسوار والأبراج.
والدرعية تحتوي على سور حصين يسمى (سور الدرعية) يبدأ من أعلى جبل القرين من الناحية الجنوبية بالاتجاه نحو الجهة الشمالية الشرقية فوق الجبل، (وهو سور ضخم بني من الحجارة والطين ويتخلل السور الأبراج والقلاع، وتم استخدام الحجارة والطين أيضاً في بناء تلك الأبراج والقلاع، ويوجد بها فتحات ومنافذ لاستخدام المدافع والبنادق عبرها، وهي منتشرة على الأسوار والأبراج بالإضافة إلى وجود فتحات خاصة بالمراقبة لكشف حركات العدو خارج الأسوار). كما توجد أيضاً قلاع وحصون وأبراج موزعة في جميع أنحاء الدرعية وخصوصاً عند الأماكن الحيوية والاستراتيجية ومنها القصور المزودة بالأبراج، مثل: قصر البليدة وبرجه، وقصر ابن طوق في السريحة، بالإضافة إلى الحصون المتصلة بالسور الرئيس المحيط بالدرعية، مثل: حصن سمحة، وحصن العويسية، وحصن المليبيد، وحصون شمال الطريف.
وقد بنيت الأبراج في الدرعية لأهداف حربية دفاعية، ساهمت في الدفاع عن الدرعية ورد هجمات أعدائها، ومن أشهر أبراج الدرعية وأبراجها الآتي:
- **برج فيصل:** وهو حصن ضخم يطل على وادي حنيفة وبالقرب منه مربط الخيل في الطريف.
- **برج البريكي:** يعد من أكبر أبراج الدرعية، وبني على شكل مخروطي على أساسات من الحجر بطريقة جيدة، وهو مليس من الخارج بالطين، وله سبع فتحات مستطيلة للمراقبة والرماية.
- **برج سمحة:** يطل هذا البرج على وادي حنيفة، ويقع شمال غرب الدرعية، وبني من الحجر بشكل مخروطي، وللبرج سلم داخلي يصل للسطح الذي استخدم في المراقبة والرماية عبر الفتحات، كما أن مبنى البرج يتسع لأكثر من مدفع من الداخل، ويحتوي على قبو لتخزين الذخيرة.

- **برج المعاينية:** بني من الحجر وطوب اللبن على شكل مربع، ويحتوي على فتحة في المدخل، ويستخدم البرج للمراقبة والرماية عبر الفتحات.

وتأتي من بعد الدرعية بلدة حريملاء في قوة التحصين ومن أبرز أسوارها:

- **برج الحسيان:** بناه أهالي حريملاء سنة 1165هـ/1751م، لتسهيل مهمة الدفاع عن البلدة.
- **برج ابن قاسم:** بني هذا السور في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد حيث أمر ببنائه موسى بن قاسم أمير حريملاء فيما بين عامي (1228هـ1232-هـ/1813-1816م)، لتحصينها.
- **برج رغبة:** وهو أكبر الأبراج وشيد في القرن العاشر الهجري لحماية البلدة، ويتكون السور من عدة بوابات.

أما بريدة فقد أحيطت بسور يسمى سور الدريبي: وبناه حمود عبد الله الدريبي أحد أمراء بريدة، وسور حجيلان: الذي بناه حجيلان بن حمد أمير بريدة وهذا السور صمد أمام المدافع وآليات الحملات العثمانية المعتدية.

ومن أبرز القلاع الأخرى في الدولة السعودية الأولى:

- **قلعة وادي فاطمة:** بنيت من أجل توحيد مكة المكرمة، ونظراً لحاجة تلك القلعة للحماية تم التعاهد مع سكان وادي الحصى لحماية القلعة، وتولى الشيخ مصلح بن سالم الغريفي شيخ وادي الحصى لحماية القلعة مع جماعته، وبنيت بها أبراج للاستكشاف والتحذير لدرء أي خطر يهدد القلعة.
- **قلعة المجمعة أو حصن منيخ:** بناها مؤسس المجمعة عبد الله بن سيف الويباري عام 830هـ، وكان هدفها تحصين البلدة، وقد صممت على شكل دائري مخروطي يضيق اتساعه إلى الأعلى، وبني من الأسفل بالحجارة، والباقي من الطين، وهذه القلعة مكونة من برجين بينهما سلم على شكل حلزوني، ومن الجنوب يوجد برج آخر صمم على شكل مربع، ولكنه أصغر في الحجم، ومن الغرب يوجد برج آخر أصغر من كلا البرجين، والقلعة محاطة بسور مبني من الطين والحجارة فوق الجبل.
- **قلعة الدلم:** تقع في منتصف بلدة الدلم، بُنيت عام 1211هـ في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد آل سعود، وفي عام 1253هـ عندما حاصرت الحملة العثمانية المعتدية الدلم لم يتمكنوا من دخولها بسبب القلعة وسورها.

قلعة الكوت بالأحساء: الكوت عبارة عن قلعة ضخمة يحيط بها خندق عميق وأسوار وأبراج مرتفعة وسميكة وهي مبنية من اللبن الذي تتخلله الأحجار، والكوت قلعة مربعة الشكل تقريباً، وثلاثة من جوانب هذه القلعة مزود ببوابة رئيسة، وفي الجانب الرابع وهو الجانب الشمالي توجد قلعة أخرى صغيرة متينة تستعمل حصناً، وهذا الحصن مربع الشكل.

وعلى جوانب قلعة الكوت أبراج مستديرة الشكل، مزودة بدرج لولبي، والخندق الخارجي يكون فارغاً معظم الوقت، ويمكن ملؤه بالماء إذا دعت الحاجة لذلك.

- **قلعة القطيف:** قلعة كبيرة توجد على سلسلة من الصخور وبها مدافع كبيرة، وأسوار القلعة مرتفعة وقوية، وهي مبنية من الآجر والصخور، ومدخل القلعة له بابان، وعلى جانبيه توجد الأبراج، وخارج القلعة مقاعد للجلوس.

وتقع قلعة القطيف عند أقصى منحنى الخليج، وفي ناحية الشمال والجنوب يوجد بروزان طويلان مثل شكل القرنين وتقع (قلعة دارين) عند نهاية أحدهما و (قلعة الدمام) عند نهاية البروز الآخر.

الفروسية في الدولة السعودية الأولى

لقب فارس لا يحصل عليه إلا من كان يتمتع بصفات معينة تمنحه الحق لنيل لقب الفروسية، فليس كل من ملك فرساً أصبح فارساً ولا كل من ركب الخيل أو قاتل عليها يعد فارساً.

وفي عهد الدولة السعودية الأولى كانت الفروسية مهارة متداخلة المتطلبات تجمع بين قوة الجسد والروح للفارس والفرس معاً، فمعنى الفروسية اختلف الآن عن السابق الذي كان يعني الرجل المحارب القوي العزيمة المتحكم بفرسة في أثناء الحروب والأخطار، وليست رياضة سباق الفروسية فقط كما هو متعارف عليه الآن.

والفارس هو من يتقن ركوب الخيل ويجيد المناورة على ظهورها ويستطيع استخدام سلاحه، وأن يقاتل وهو على ظهرها محافظاً على توازنه ومسيطراً على التحكم في توجيه حركة حصانه بالوقت المناسب، وأن يكوّن علاقة قوية مبنية على الثقة مع خيله لتطيعه وتخلص له، ولهذا أصبح الفارس ينتمي إلى طبقة من الناس تتسم بالاحترام والهيبة والتقدير والسمعة الحسنة داخل مجتمعه.

وفي عهد الإمام محمد بن سعود بن محمد، الذي بدأ مشروع توحيد الدولة، اتصف بصفات الفارس كالشجاعة، والقوة، والجسارة، والإقدام، فقاد عدة معارك بنفسه بالإضافة إلى ابنه الإمام عبدالعزيز الذي أراد أن يؤهله لقيادة قوات الدولة السعودية وهي أولى المهام التي يوليها أمراء آل سعود لأبنائهم حتى يتسلموا منصب قيادة القوات العامة.

فتعلم أبناء الإمام محمد بن سعود الفروسية على يد والدهم، فما حققوه من انتصارات وسمعة قوية بفروسيتهم وشجاعتهم يعتبر دليلاً على تأثير والدهم عليهم بصفات الفارس ،فقد أوكل الإمام محمد قيادة القوات العامة لابنه الإمام عبدالعزيز يعاونه بها أخوه عبدالله الذي قاتل معه بضراوة حتى أصبح قائداً للفرسان، وأصبحت له شهرة عظيمة حتى تناقلت أخبار شجاعته في الحروب، وقد عاونهما في قيادة سرايا الفرسان والقتال في الحصون والقرى ابن عمهما حسن بن مشاري الذي كان له أبناء فرسان شجعان قتلوا أثناء دفاعهم المستميت عن الدرعية في أثناء الحملة العثمانية المعتدية.

وكان يوجد في الدرعية تحديداً في حي الطريف حصن « الدريشة» الذي يعد أكبر وأضخم حصن في الدرعية كان به الإسطبل العمومي لخيول آل سعود ويسمى «قوع الخيل» ،كما كان بها سوق للخيول، ووصفت بكثرة تواجد كتائب الخيل والنجائب العمانيات.

ويروي لنا التاريخ أحداثاً تاريخية تدل على حرص أمراء الدولة السعودية الأولى على إنشاء قوة الفرسان، وهم المحاربون الذين يمتطون الخيول العربية الأصيلة، وما يميزهم هو سرعة تحركهم بسبب امتطائهم للخيول سريعة الجري مما يمنحهم عامل السرعة في القتال ، لذلك كان لابد من امتلاك أعداد كبيرة من الخيول فحققوا ذلك عن طريق الشراء أو غنائم الحروب والعقوبات أو عن طريق الهدايا التي تقدم إليهم، ففي سنة 1168هـ عندما توجه الإمام عبدالعزيز بن محمد لضم بلدة حريملاء كان معه ثمانمائة من جنود الإبل و عشرون فارساً، وفي عام 1181هـ قدَّم رئيس مدينة جلاجل سويد بن محمد بعد أن بايع أهل الوشم الإمامَ عبدالعزيز على السمع والطاعة خمسة خيول، وفي وقعة الشيط في الأحساء غنم أكثر من مائتي فرس كان له الخمس منها، و باقي الخيول قسمت على جنوده، ونال الفارس سهمين من الغنيمة ،وذلك سنة 1207هـ.

وكانت المعارك والحروب في عهد الأمير عبدالعزيز بن سعود مستمرة لا تنقطع لتحقيق أهداف الحفاظ على الأمن والتوسع في الدولة، وهذا يتطلب منه أن يحظى بصفوة فرسان شجعان أقوياء لهم صفة الإخلاص والأمانة والطاعة لأميرهم، فكان له فرسان في جميع مناطق مملكته خلد اسمهم وبطولاتهم التاريخ، وكانوا أحد أسباب قوة الدولة والنجاح في توسعها، ومنهم عبدالوهاب بأبي نقطة أمير وقائد الفرسان في منطقة تهامة جنوب الدولة السعودية الأولى، وفي الأحساء كان أميره وقائد قواته سليمان بن محمد بن ماجد الناصري، وفي القطيف و المناطق التي حولها أحمد بن غانم، و ربيع بن زيد الدوسري الفارس الشجاع القوي.

وكان قائد الفرسان في وادي الدواسر و في الخرج أيضاً إبراهيم بن سليمان بن عفيصان من خيرة الرجال المخلصين والفرسان الأقوياء، وفي القصيم حجيلان بن حمد في بريدة، و في حائل محمد بن عبدالمحسن بن فايز بن علي.

وكان الإمام عبد العزيز يهتم بقواده وفرسانه، ويقسم لهم من الغنائم للراكب سهم وللفارس سهمان.

كما أشرك الإمام عبدالعزيز ابنه الإمام سعود وهو في عمر الثانية عشرة في معركة معه أثناء حكمه و قاد كثيراً من كتائب الفرسان، وانتقل حب الفروسية والخيول لسعود بسبب البيئة المحيطة المناسبة لتنمية هذه المهارة، فالشجاعة صفة متوارثة في أبناء آل سعود، وتوافر الخيول حولهم جعلهم ضليعين بالفروسية وامتطاء الخيول الأصيلة السريعة الجري في الحروب، فنجد أن الإمام سعود بن عبدالعزيز كان يمتلك أجمل مجموعة خيول عربية أصيلة وكان يحتفظ في الدرعية بأكثر من ثلاثمائة أو أربعمائة من الخيل والبقية ترعى في الأحساء.

وعندما توفي الإمام سعود بن عبدالعزيز في سنة 1229هـ ترك وراءه ألفين وأربعمائة من الخيل. وكان ابنه عبدالله بن سعود قد وصف بأنه كان في طفولته جريئاً مقداماً، و قد روض فرسه وهو في الخامسة من عمره ما يدل على حسن التربية والتنشئة على حب الفروسية وتعلمها منذ الصغر، فذاع صيته عندما كبر وأصبح فارساً حتى أصبح محبوباً من الجميع لشجاعته وقوته و حسن تعامله، وكان للإمام سعود فرسان شجعان أقوياء، ومنهم سبيل بن نصر الطرفي الذي عينه رئيساً للخيالة.

و أتقن أمراء الدولة السعودية الأولى «المجاولة» وهي المبارزة أو محاورة قتال على الخيل، فحدث في عام 1233هـ أن جاول الإمام سعود بن عبدالعزيز – أثناء عهد حكم والده- في بلدة المجرة مع أحد الفرسان و انتصر عليه.

ولعل أبرز تحدٍّ واجهة فرسان الدولة السعودية الأولى عندما قدمت الحملة العثمانية المعتدية لقتالهم ومسيرهم للهجوم على الدرعية، فتجلت أخلاق الفروسية بأسمى معانيها وهي الدفاع عن الوطن والدم والعرض والتصدي للحملة المعتدية، ففي سنة 1226هـ عندما علم الإمام سعود بن عبدالعزيز بمسير الحملة العثمانية المعتدية إلى الدرعية ومرورها بطبيعة الحال على المدن والقرى التي تقع على الطريق الموصل للدرعية، أعلن النفير العام فهب إليه ثمانية عشر ألف مقاتل وثمانمائة فارس يمثلون الأخلاق الأصيلة للفروسية، وجعل ابنه الإمام عبدالله الفارس الشهم قائداً للقوات العامة، ووكل عبدالله أخاه الفارس الشجاع فيصل بن سعود المشهور بفروسيته وقوته والفارس حباب بن قحيصان المطيري على قوات الخيل البالغ عددها ثمانمائة فارس، وذلك في معركة وادي الصفراء شمال المدينة المنورة، وحدث قتال شرس دافع فرسان الدولة السعودية عن بلادهم بجسارة، وقتلوا ما يقارب أربعة آلاف جندي من قوات الحملة العثمانية المعتدية ، بينما قتل ستمائة فارس لمعت أسماؤهم في روايات التاريخ، منهم مقرن بن حسن بن مشاري بن سعود، وبرغش بن بدر بن راشد الشيبي، ورئيس قحطان هادي بن قرملة، ورئيس عبيدة مانع بن كرم و أبو وحير العجمي، والذي اشتهر بفروسيته، وذكر مؤرخ الدولة السعودية الأولى ابن بشر أنهم جميعهم «قاتلوا قتالاً ما قاتله أحد من الأسلاف».

هذه هي الفروسية بمعناها النبيل، وهذه هي شجاعة فرسان آل سعود المعروفين بأخلاقهم وشهامتهم وقوتهم، رحمهم الله جميعاً.

الفنون الأدائية في الدولة السعودية الأولى:

تعتبر الفنون الأدائية من الفنون الشعبية التي تعبر عن أي مجتمع من المجتمعات وتعبر عن قيمته ومبادئه وثقافته، وعاداته الاجتماعية التي ورثها من آبائه وأجداده، وقد تميز السعوديون بأداء الفنون الأدائية التي تمثل جزءاً من ثقافتهم وأسلوب حياتهم على مر ثلاثة قرون منذ عهد الدولة السعودية الأولى، وتعتبر هذه الفنون من أساليب الترفيه والتسلية والتعبير عن الفرح والابتهاج في المناسبات والاحتفالات الاجتماعية أو الوطنية، كما أنها من أساليب التعبير عن الفرح والانتصار بعد الحروب والمعارك.

تميزت كل منطقة من مناطق الدولة السعودية الأولى، بفنون أدائية ميزتها عن غيرها وورثها الأبناء عن آبائهم، وهي متشابهة كثيراً في جميع هذه المناطق من حيث المبدأ ولكن بها اختلافات بسيطة، مما جعل في كل منطقة ميزة عن غيرها.

جميع هذه الفنون تقام في مختلف المناسبات الاجتماعية؛ كالأفراح، والأعياد، والزواجات، وليالي السمر؛ بهدف التسلية والترفيه؛ فهي نوع من أنواع الفرح والابتهاج، أو في وقت الحروب والمعارك؛ لإيقاظ روح القتال عند الجنود ورفع الروح المعنوية للمحاربين أو تخويف العدو بصوت قرع الطبول والطلقات النارية من البنادق، أو التمويه بكثرة أعداد الجنود، أيضاً للتعبير عن الفرح بعد الانتصار من الحرب، وقد امتازت هذه الفنون بنوع معين من الأشعار والبحور الشعرية والغناء.

للحديث عن الفنون الأدائية في الدولة السعودية الأولى، نبدأ بأشهر عروضهم الفنية:

١- **العرضة السعودية** التي تعرف أيضاً باسم رقصة الحرب أو رقصة الملوك، وتعتبر من أكثر الفنون الشعبية المنتشرة في نجد، وتلعب في الحرب والسلم على حد سواء، ففي حالة الحرب تُلعب بهدف إظهار قوة المقاتلين أمام العدو، وعدم المبالاة له، ورفع الروح المعنوية للمقاتلين أثناء المعركة، وإظهار مدى التلاحم بين القائد والمقاتلين حينما يعرضون في صف واحد.

أما في حالة السلم، فهي تقام بهدف الترفيه والتسلية والابتهاج، ويتم اختيار الملابس الزاهية والملابس الخاصة بالعرضة، كما أن التسليح فيها يكون بشكل أقل عن التسليح في حالة الحرب.

وبالنسبة لطريقة أداء العرضة، فيبدأ المنادي وهو حامل البيرق بالمناداة وإلقاء بيتين أو ثلاثة أبيات من الشعر تسمى (الحوربة)، ثم يقوم مجموعة من الرجال بالاصطفاف في صفين متقابلين حاملين بأيديهم السيوف، ويرددون خلف المنادي الأبيات، وبينهما مسافة تسمح لهم بأداء حركات العرضة، ويقف فيها قارعو الطبول في صفين أو صف واحد أو بشكل متفرق مع المنادي، ثم يبدؤون بقرع الطبول والغناء وترديد أبيات الشعر التي بدأها المنادي، بالتناغم فيما بينهم، وتتراص عضود الرجال وترتفع سواعدهم في حركات متناغمة وهم يحملون السيوف، ويقومون بالتمايل في حركات متناغمة يميناً ويساراً مع القيام بانحناء للرأس إلى الأمام مع تحريك السيوف وهزها في جهة اليمين واليسار، أو إرخاء السيف على الكتف أثناء الرقص، وأول ما تبدأ العرضة بالإيقاعات الهادئة ثم تسخن فيرتفع صوت الشعراء والراقصين وقرع الطبول تدريجياً.

الملك عبدالعزيز وهو يؤدي العرضة السعودية

خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، والملك فيصـل، والملك خالد، والملك فهد والملك عبدالله، يشاركون في العرضة السعودية التي تُردد فيها قصائد ترتبط بنخوة الوطن، وإنجازات مؤسسية

من أشهر شعراء العرضة في عهد الدولة السعودية الأولى الشاعر سعد بن حبشان وهو من أهالي العاصمة الدرعية، ومن أبرز أشعاره التي غُنيت في العرضة الأبيات التالية:

يالله اليوم يالمطلـــوب عنّـــا	عز شيخٍ لنا سهلٍ جنابـه
عز شيخ لنا زَبـــــن لمجنّـــا	طير حوران شبّاب الحرابة
وانـت ياللي علـــى نجدٍ تمنّى	دون نجدٍ مساعير الذيابة

برز دور العرضة في عهد الدولة السعودية الأولى، وهي مرتبطة بمعارك توحيد مناطق الدولة السعودية الأولى، ومن ثم الثانية وصولاً لمعارك توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وأبنائه الملوك من بعده حتى حكم الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ففي عهد الدولة السعودية الأولى تحديداً أثناء عهد الإمام محمد بن سعود عندما فرض الحصار على الدرعية عام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٥م، أمر الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود -الذي كان قائدًا آنذاك- جنوده بتأدية العرضة خارج أسوار الدرعية، والتي كان لها دور كبير في إثارة نفوس الجنود وحماستهم في القتال وقد أبلوا بلاءً حسناً وكانت نتيجة المعركة لصالح السعوديين.

٢- **من الفنون الأدائية الشهيرة السامري**، وهي منتشرة في العديد من مناطق الدولة السعودية الأولى في نجد وحائل والمنطقة الشرقية، وتقام في المناسبات الاجتماعية والأفراح والأعياد، أو ليالي السمر المسائية بين مجموعة من الشباب؛ والهدف منها الترفيه والتسلية وتقضية الوقت.

تعتمد بشكل كبير على الدفوف والطبول والمزمار، فيقوم العارضون بالتجمع على شكل دائرة أو في صفين متساويين، ويتم تأدية هذا الفن وهم جالسون على ركبهم مع القيام بتصفيق اليدين ببعضها، والغناء والتمايل بالجسم يميناً ويساراً، وفي كل صف مجموعة من قارعي الطبول والدفوف من الراقصين أنفسهم، بينما يقف الشاعر بين هذين الصفين ويلقي على الصف الأول الشطر الأول من البيت فيرددونه خلفه، ثم ينتقل إلى الصف الثاني ويلقي عليهم الشطر الثاني من الشعر ويرددونه خلفه، وأحياناً ينتقل الشاعر للاصطفاف مع أحد هذين الصفين فيبدأ الغناء ويردد الصفان في الوقت نفسه خلفه، وقد يقوم اللاعبون بتشبيك سواعدهم ببعضها، مما يساعدهم على النهوض قليلاً مع البقاء على ركبهم، فيتمايلون يميناً ويساراً وإلى الأمام والخلف.

أما قارعو الطبول فيقومون بالقرع عليها بالتناسق مع حركة رؤوس العارضين، ويتم قرع الطبول مرتين خفيفتين والثالثة تكون أقوى منهما، وذلك بالتناسق والتناغم مع أبيات القصيدة الملقاة، ومن أشهر الأشعار التي تُغنى أثناء تأدية السامري ما يلي:

يـــا عـــل يـــا ســـدرة الغرمـــول يسقيـــك مـــن مزنـــة هلّـــت المـــا عقربيـــةّ
بـــاغٍ ليـــا جيـــت ســـارٍ مـــن حواليـــك عجـلٍ وأخـــاف القمـــر يظهـــر عليّـــه

٣- من الفنون الأدائية التي تعرف في المناطق الشمالية للدولة السعودية الأولى رقصة الدحة، وهي نوع من أنواع الفنون وتعقد في العديد من المناسبات العسكرية و الاجتماعية كالزواج، والأعياد، وحفلات الختان، ومناسبات العودة من السفر، وكانت تتم هذه الرقصة من قبل الفتيات والفتيان بحيث يلبس الفتيان أفضل الملابس والتسلح بأفضل الأسلحة من سيوف وخناجر أو بنادق، في حين تلبسن الفتيات أفضل وأزهى الملابس النسائية، ويصطفون في صفين متماسكين بأيديهم وبينهم مسافة يقوم فيها بعض الفتيان والفتيات بالرقص حول بعضهم حيث يدور كل واحد حول الآخر، ويبدأ الشاعر بإلقاء بيت من الشعر على الصف الأول من المصطفين، ثم يردده الصف الآخر، ويقوم هؤلاء المصطفين بالتصفيق بإيقاع معين مع اللحن الشعري، ويتمايلون يميناً ويساراً ويقومون بخطوة إلى الأمام والخلف، ورفع الأقدام بالتناغم مع الرقصة، وفي بعض الأحيان يصاحب هذه الرقصة قارع طبل، أما بالنسبة للأشعار التي تقال أثناء الرقص، فهي عبارة عن أبيات قصيرة كنوع من الحداء ذات الإيقاع السريع، ومن أبرز أشعار وقصائد رقصة الدحة:

جينـــا علـــى الدحـــة جينـــا يامـــا أحـــلا صـــون منادينـــا
نلعـــب والقمـــرا تفضحنـــا بالظلمـــا يبـــرق موضينـــه

٤- من الفنون الأدائية المنتشرة في المنطقة الشرقية الفجري (البحري)، وهناك العديد من أنواع هذه الفن، أهمها: الغجري، والحداوي، والحساوي، والمخولفي، والعدساني، والسنجلي، والعاشوري، والخماري، وجميعها كانت تقام أثناء عملية الغوص في الخليج.

جميعها متشابهة في الفكرة الأساسية للرقصة وتقوم على موال الزهيري، واختلافها الوحيد هو في طريقة تأدية هذا الفن، فالغجري تؤدى عن طريق الجلوس بشكل دائري، كما يقومون بالتصفيق والغناء، وتستخدم الطبول، والطارات، والطووس، والكفوف، ويرددون القصائد القصيرة بشكل جماعي بعد المنادي وهو الذي يبدأ الغناء، ومن هذه القصائد :

يـــا الله قولـــوا يـــا اللـــه يـــا اللـــه الهـــادي
جيتـــه علـــى الخـــور طـــارح طـــارح وناشـــر علامـــة
مريكـــب الحـــب سافـــر سافـــر وجـــا بالسلامـــة

٥- **ومن أبرز الفنون الأدائية والشعبية المنتشرة في المناطق الجنوبية في الدولة السعودية الأولى العرضة الجنوبية،** ويتم تأديتها بحيث ينقسم العارضون في صفين متقابلين ويتم ترديد بيت الشعر من قبل الصف الأول ويرد عليه الصف الثاني، ويتم تحريك الأرجل في نفس المكان بطريقة متناسقة بين العارضين، ويصاحب العرضة الجنوبية قرع على الطبول ودق الهاون والمزمار، وترديد الأشعار بشكل جماعي . بالإضافة إلى العرضة الجنوبية عرفت أيضاً الخطوة الجنوبية كواحدة من أبرز الفنون الشعبية والرقصات في المناطق الجنوبية في الدولة السعودية الأولى، وهي لا تختلف كثيراً عن العرضة، وقد سميت بهذا الاسم؛ نسبة إلى الحركات الجسدية التي تمارس من قبل الراقصين حيث لا يتعدى الراقصون خطوة واحدة إلى الأمام وخطوة واحدة إلى الخلف، مع تناسق متقن من الراقصين وترديد أشعار شعبية يلقيها أحدهم مع اللحن، كما تقرع الطبول والدق في الهاون.

٦- **ومن أشهر الفنون الأدائية في المنطقة الغربية فن المزمار،** وهو عبارة عن فن خاص يتم تأديته من قبل الرجال، ويقام في الأفراح والمناسبات الاجتماعية من الزواجات والأعياد، وطريقة أدائها تتم حيث يجتمع مجموعة من الرجال على شكل دائري، ويشعل في منتصف الدائرة مجموعة من الحطب، فينزل اثنان من الرجال في كل مرة إلى الدائرة في المنتصف ويقومان بتأدية بعض الحركات بطريقة منسجمة ومتناغمة مع الإيقاعات الموسيقية حول الحطب، ويحمل كل واحد من هؤلاء العارضين عصا يحركها بين أصابعه أثناء الرقص، وهذه العصا تشبه المزمار، وفي الوقت نفسه يقوم العارضون الذي يشكلون الدائرة بترديد الأغاني والقصائد مع اللحن وتسمى (الزواميل)، أثناء قرع الطبول بأنواعها المختلفة والتي ينتج عنها لحن مخصص لهذا الفن، وهي (النقرزان والمرد والطار) .

٧- هناك أيضاً فن المجرور المشهور في المنطقة الغربية في الدولة السعودية الأولى، تحديداً في منطقة الطائف وقد عرف أحد أنواع المجرور باسم الطائفي وهو محل حديثنا هنا، وتتم تأدية هذا الفن عن طريق مجموعتين من العارضين حيث تصطف كل مجموعة في صف مقابل للصف الآخر ومع كل مجموعة أدوات من العزف تعرف بالطيران أو الدفوف وهي تشبه الطبول لكن بإيقاع مختلف، ويبدأ أحد هذين الصفين بترديد الأغاني والأشعار، ثم يقوم الصفان بترديدها خلفه ويقرعون على الطيران بإيقاع معين، وعندما ينتهي الصف الأول من الغناء يبدأ الصف الآخر باستكمال بقية الأغنية، وفي تلك الأثناء يخرج إلى المنتصف بين الصفين اثنان أو ثلاثة من العارضين؛ لتأدية الحركات بالجلوس والقيام وتسمى هذه الحركات (الكسرة) وتتم بشكل فردي متناسق مع اللحن والأغاني والإيقاع، ومن الأغاني المشهورة للمجرور ما يلي:

إلهـــي سألتـــك لا تخيـــب رجايـــا عـلـــــى اللـــــي يـــــوده
ولا تحـــرم الصـــب المعنـــى كمـــا يـــا مـــــن أزهـــــار خـــــده
وقالـــوا مسافـــر قلـــت أنـــا واعنـا يا مـــــن الـــــود بعـــده
ومـــن يسليـــني ويتبـــع رضايـــا كمـــا كنـــت عنـــده
دوايـــا مـــداوي علتـــي واشقايـــا دوايـــا فـــي يـــده

المخطوطات والمكتبات

تعرف المخطوطات بأنها كل ما خُط وكتب باليد مباشرة، دون استخدام لأدوات الكتابة الحديثة، ويقابله في عصرنا الحالي المطبوع باستخدام الآلة الطابعة، كما تعتبر المخطوطات مادة تاريخية مهمة لها دور كبير في حفظ التراث والثقافة الإنسانية، ونقل التصور الكامل عن الفترة الزمنية المراد دراستها من خلال هذا المخطوط بجميع جوانبها، ولا شك أن ما يمر به الإنسان من تطور واستقرار على الصعيدين المجتمعي والفردي، هو أمر مؤثر بشكل كبير على المخطوطات التي تزدهر في حالة الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي في أي مجتمع.

تنوعت أشكال المخطوطات ما بين مادة علمية أو وثائق رسمية أو وثائق غير رسمية، كما تعد المكتبات دليلاً على مدى اهتمام هذا العصر بثقافته ومدى التطور العلمي والثقافي الذي توصل إليه هذا العصر؛ باعتبارها مكاناً لحفظ المخطوطات، والمحافظة عليها والاهتمام بها، وازدهارها في أي عصر من العصور.

في عهد الدولة السعودية الأولى ازدهرت المخطوطات؛ نتيجة للاستقرار السياسي والاقتصادي الذي شهدته الدولة، مما نتج عنه ازدهار في الحركة العلمية والثقافية وبالتالي ازدادت المخطوطات التي كانت آنذاك الوسيلة الرئيسة للتبادل الثقافي والمعرفي.

مخطوطة المقنع في الفقه الحنبلي، من مخطوطات الدولة السعودية الأولى

سعى أئمة الدولة السعودية الأولى منذ تأسيسها على يد الإمام محمد بن سعود عام 1139هـ / 1727م، وحتى عهد آخر الأئمة الإمام عبدالله بن سعود على نشر العلم والتعليم والمساهمة فيه، والسعي في تعميمه على عامة الناس من منطلق ديني وثقافي عميق، مدركين بذلك أهمية العلم والتعليم في النهضة والازدهار الثقافي والعلمي، فكان له أعمق الأثر في زيادة كمية المخطوطات وكثرتها.

ويمكن تعليل أسباب ازدهار المخطوطات والمكتبات وكثرتها في الدولة السعودية إلى عدة أسباب، أهمها الموقع الاستراتيجي لنجد، حيث إن وقوع منطقة نجد في منتصف الدولة السعودية الأولى جعلها مركزاً لمرور المؤلفات، وطلاب العلم والرحالة من المناطق المجاورة من العراق والشام واليمن، وبين شرق وغرب الجزيرة من الأحساء ومنطقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما أن العلماء وطلبة العلم والرحالة ممن قدموا إلى أراضي الدولة السعودية الأولى، كانوا يشترون هذه المخطوطات من أسواق بلاد الشام وبغداد وصنعاء، أيضاً بعض قادة المناطق التابعة للدولة السعودية الأولى كانوا يشترون الكتب والمخطوطات من الأسواق، ويرسلونها إلى أئمة الدولة السعودية، من ذلك ما سجله الرحالة السويسري (جون لويس بوركهارت) عن شراء أمير عسير عبدالوهاب أبو نقطة كمية كبيرة من الكتب اشتراها من أسواق اليمن وقام بإرسالها للإمام سعود بن عبدالعزيز.

كما أن الدولة السعودية الأولى سعت في إرسال سفارات علمية يقوم بها علماء الدولة السعودية الأولى إلى هذه المناطق المجاورة؛ بهدف توسعة نطاق الحركة العلمية وتبادل ونشر الكتب والمخطوطات وإعارتها ونسخها بين المناطق التابعة للدولة وبين الأقاليم المجاورة ، ومن تلك السفارات ما أرسله الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود سفارة علمية إلى الشريف غالب في مكة المكرمة برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر عام 1211هـ/1796م وعدد من العلماء، وقد تم خلال هذه السفارة نشر وتبادل ونسخ المخطوطات والمؤلفات العلمية.

من تلك السفارات أيضاً أن قام الإمام سعود بن عبدالعزيز بإرسال سفارة علمية إلى إمام اليمن علي بن العباس عام 1222هـ/1807م، وكان من أعضاء هذه السفارة بعض علماء الدولة السعودية الأولى من أبرزهم الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن مشرّف، والشيخ عبدالله بن مبارك بن عبدالله الأحسائي، وقد تم أثناء هذه المهمة تبادل ونسخ العديد من المخطوطات العلمية أبرزها تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير.

وقد نتج عن هذه السفارات زيادة أعداد المخطوطات والمؤلفات والكتب، مما استدعت الحاجة الماسة لحفظها من التلف في المكتبات، وهذا دليل على الاهتمام الفعلي بالبُعد الثقافي لدى أئمة الدولة السعودية الأولى.

كان عصر الدولة السعودية الأولى عصراً مزدهراً بالنشاط العلمي، وانكب العلماء على التأليف ونسخ الكتب؛ مما جعل الدولة السعودية الأولى تزخر بالمخطوطات ونُساخها، وكانت الدرعية على سبيل المثال تزخر بالعديد من الوثائق والرسائل والكتب قبل سقوطها عام 1233هـ/ 1818م، لكن لم يصل إلينا إلا القليل منها؛ بسبب إتلافها وإحراقها بعد سقوط الدرعية، ويذكر ذلك أحد شهود الأعيان الرحالة (جورج فورستر سادلير) الذي زار أراضي الدولة السعودية الأولى عام 1818-1819م ما آلت إليه هذه الكتب والمخطوطات والمؤلفات، حيث دمرت بشكل كامل بعد تدمير الدرعية على يد القوات المعتدية.

شملت هذه المخطوطات وثائق هامة تصور لنا الحياة في الدولة السعودية الأولى، من خلال العديد من جوانب الحياة، فمنها وثائق رسمية، وغير رسمية، ووثائق إدارية واقتصادية، وعلمية، ووثائق الأوقاف، وعقود البيع والشراء، والهبات، والوصايا، وعقود الرهن، والمغارسة، وكتب التاريخ، والفقه، والعلوم الشرعية، واللغة العربية وقواعدها.

كانت مهمة كتابة المخطوطات تحال إلى أهل الخبرة من العلماء والقضاة وأئمة المساجد، وطلبة العلم والنّسّاخ، فبالإضافة إلى إتقان القراءة والكتابة يجب على كُتاب المخطوطات التحلي بالأخلاق النبيلة، مثل: الصدق، والأمانة، والإخلاص في العمل، واشتهر من كُتاب المخطوطات العديد من العلماء الذين مازالت آثارهم باقية حتى الآن، مثل: الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عتيق الوهيبي وكان من أشهر كُتاب المخطوطات حيث قام بنسخ كتب عديدة منها كتاب (الرد على الجهمية) للإمام أحمد بن حنبل، والشيخ عبد الله بن محمد البسام الذي نسخ العديد من الكتب منها (معونة أولي النهى شرح المنتهى) للفتوحي، والشيخ سليمان بن علي آل مشرف الذي علق وأضاف حواشي لكتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام) للإمام ابن القيم، والشيخ محمد بن هادي بن بكري العجيلي وكتابه (الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود)، والشيخ محمد بن أحمد الحفظي الذي ألف كتاب (نفح العود في الظل الممدود)وعلى الرغم من ازدهار وانتشار المخطوطات في الدولة السعودية إلا أن الحصول على المواد لكتابة المخطوطات لم يكن أمراً سهلاً، حيث تحتاج كتابة المخطوط إلى الأوراق والحبر والقلم، وقد بذل أئمة الدولة السعودية الأولى والعلماء جهداً كبيراً من أجل توفيرها، حيث لم تكن توجد في تلك الفترة آلة الطابعة.

كان تبادل وانتشار هذه المخطوطات يتم من خلال عدة طرق، كنسخها، واستكتابها، وبيعها وشرائها، وإهدائها، وإعارتها، فطريقة نسخ المخطوطات تعتبر هي الطريقة الرئيسة لانتشار المخطوطات وتداولها، وغالباً تتم عن طريق نُساخ امتهنوا هذه المهنة، وأصبحت مصدر رزق لهم، أو تتم عن طريق قيام طلاب العلم بنسخ المخطوط الذي يحتاجون إليه أثناء قدومهم إلى أراضي الدولة السعودية الأولى في رحلتهم العلمية، وقد كان يقوم بنسخ المخطوطات من عرف بحسن خطه من العلماء وطلاب العلم أثناء إقامته في أراضي الدولة السعودية الأولى، أو من سبق له ممارسة نسخ المخطوطات.

برز العديد من العلماء في الدولة السعودية الأولى ممن نسخوا كتباً عديدة؛ ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الذي نسخ كتاب (الإقناع للحجاوي)، والشيخ فوزان بن محمد بن حسن، والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن شعيب الذي نسخ عدة كتب منها كتاب (سيرة ابن هشام)، والشيخ عبدالرحمن بن محمد الوهيبي

والذي عرف بحسن خطه وقد نسخ كتباً عديدة منها (الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل)، والشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، والشيخ جعفر بن محمد بن جعفر من الأحساء الذي نسخ كتاب (تيسير الملك الجليل بجمع الشروح وحواشي مختصر خليل)، كما نسخ الشيخ عيسى بن المقبول كتاب (مواهب الصمد في حل صفوة الزبد).

تجدر الإشارة هنا إلى أن العلماء ممن نسخ مخطوطاً ما، يدون ذلك على النسخة من المخطوط سواءً في نهايته أو بدايته، مما يسهل على الباحث أو القارئ للمخطوط معرفة من نسخها، أو معرفة ما إذا كانت هذه هي النسخة الأصلية من المخطوط أو منسوخة لعدة مرات، وأيضاً أن غالبية النساخ كانوا يفدون للدرعية من جميع المناطق السعودية أو المناطق المجاورة من الشام والعراق واليمن نظراً لكثرة المكتبات في الدرعية سواءً العامة أو الخاصة، بالإضافة إلى كثرة المخطوطات الأصلية أو النسخ عنها.

ومن طرق انتشار المخطوطات؛ طريقة الاستكتاب وهي تشبه طريقة النسخ للمخطوطات، وتتم طريقة الاستكتاب بطلب من الإمام أو الشيخ أو التاجر أو أحد وجهاء المجتمع لأحد النساخ الذين يمتهنون مهنة النسخ كمكسب رزق لهم، ويكون ذلك بمقابل مالي، ومن أشهر أمثلة الاستكتاب انتشار العديد من نسخ كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما أن الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب طلب استكتاب العديد من المخطوطات من النساخ سواءً لمكتبته الخاصة أو لوقف هذه المخطوطات لطلاب العلم، ومن ذلك أنه طلب من محمد بن حسن بن قرشي استكتاب كتاب ابن قيم الجوزية بعنوان (إعلام الموقعين من رب العالمين) .

بالإضافة إلى أنه يتم مراجعة نسخ المخطوطات التي يتم استكتابها؛ للتأكد من صحة النسخ، وتكون طريقة المراجعة عن طريق مقابلة شخصين أحدهما يمسك بالأصل والآخر يقرأ عليه المخطوط المنسوخ، وذلك عن طريق المقابلة، ثم تدون طريقة المراجعة على المخطوط من الخلف بالإضافة إلى تدوين أسماء من قام بالمقابلة والمراجعة .

من طرق انتشار المخطوطات أيضاً طريقة البيع والشراء لها، والتي تتم بين مناطق الدولة السعودية الأولى أو مع المناطق المجاورة للدولة السعودية الأولى، ومن وسائل البيع والشراء هو قيام ورثة صاحب المخطوط ببيع المخطوطات، فيقوم العلماء أو التجار أو طلبة العلم في الدولة السعودية الأولى ممن هم بحاجة هذا المخطوط إلى شرائه، ومن وسائل البيع أيضاً هو عرض صاحب المخطوط نفسه بيع مخطوطاته؛ لأنه بحاجة إلى مبلغ من المال، أو لاستغنائه عن المخطوط.

وكذلك من طرق انتشار المخطوطات الإعارة، إذ إنه مع تزايد طلاب العلم والعلماء تزداد الحاجة على المخطوط، فيقوم بعض العلماء وطلاب العلم باستعارة بعض النسخ من الكتب والمخطوطات من بعضهم البعض؛ وذلك بهدف الاطلاع على الكتاب أو نسخه أو استكتابه أو الدراسة فيه أو الحصول على معلومة منه، مما ساهم في انتشار المخطوطات بشكلٍ كبير، ومن خلال هذه الطريقة أيضاً يمكن تبادل الكتاب بكتاب آخر، حيث يعرض المستعير كتاباً آخر مقابل الكتاب الذي طلب استعارته.

وطريقة الوقف تعتبر أيضاً من طرق انتشار المخطوطات؛ حيث يقوم العالم أو الشيخ أو طالب العلم بوقف الكتب لطلاب العلم سواءً في المكتبات أو المساجد أو المدارس، أو كوقف التركة من الكتب أو المخطوطات بعد وفاة صاحبها، وأمثلة الوقف كثيرة في الدولة السعودية الأولى، ونذكر من ذلك أن قام الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بوقف مجموعة من الكتب لطلبة العلم والعلماء والباحثين، وجعلها ثواباً لوالده الإمام محمد بن سعود ووالدته.

وفي ظل ازدهار المخطوطات استدعت الحاجة وجود المكتبات، وكان من أبرز المكتبات في الدولة السعودية الأولى مكتبة الدرعية التي كانت مقراً لطلاب العلم والعلماء والباحثين والقراء، وتضم العديد من الكتب والمخطوطات والمؤلفات في العديد من المجالات، منها العلوم الشرعية من الفقه، والتفسير، والحديث، والتوحيد، وكتب الأدب، والشعر، والتاريخ، واللغة العربية وقواعدها، كما وجدت أيضاً في الدرعية مكتبات الأئمة الخاصة وأبرزها مكتبة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، والإمام سعود، والإمام عبدالله، وكانت هذه المكتبات تضم أيضاً العديد من الكتب النادرة حيث حرص الأئمة على اقتناء الكتب النادرة والقيمة والتي تعود بالفائدة على القراء والعلماء وطلاب العلم، بالإضافة إلى أنهم حرصوا على أن تكون هذه المكتبات مفتوحة لطلاب العلم، ومن يفد إلى الدرعية بغرض التزود من العلوم المختلفة المنتشرة فيها آنذاك.

وجدت في بقية مناطق الدولة السعودية الأولى العديد من المكتبات الخاصة للأسر العلمية التي برز فيها العديد من العلماء، ومن تلك المكتبات: مكتبة آل عبدالقادر في الأحساء، ومكتبة الشيخ أحمد المنقور في نجد، ومكتبة آل يعقوب في حائل، ومكتبة الشيخ حسن الشكور في مكة المكرمة، ومكتبة الشيخ الحسن بن خالد الحازمي في المخلاف السليماني، ومكتبة الشيخ محمد الحفظي في عسير، والجدير بالذكر أن هذه المكتبات كانت خاصة؛ نظراً لأنها تنسب لأسرة العالم أو الشيخ، ولكنها كانت تمثل المكتبات العامة في وقتنا الحالي فقد كانت مفتوحة لجميع طلاب العلم وكل من يريد اقتناء كتاب معين يتجه إلى هذه المكتبات.

الجزء الحادي عشر
من كتاب السنن تأليف
الشيخ الامام العلم العلامة
حيد دهره وفريد عصره ابو داود
سليمان بن الاشعث بن اسحق بن بشير
الازدي رحمه الله رحمة الابرار ووقاه
عذاب النار رواه عنه ابو علي محمد
اخو عمرو اللؤلؤي
رحمه الله

وزارة الثقافة
Ministry of Culture